أدب الإشارة

أهميته وقيمته وضوابطه

د / محمد عمر أبو ضيف

مدرس الأدب والنقد بالكلية

المقدمة

الحمد لله الذي أحلنا محلة الفهم ، وحلانا حلية العلم ، وملكنا عقال العقل ، وزينا بنطق المنطق...

وصل اللهم وسلم وبارك علي أفصح العرب لسانا ، وأعظمهم بيانا ، اشرف نبي ارشد ودل ، وعلي آله وأصحابه ما أطل سحاب فطل وبل...

وبعد...؛

فإن الله تعالي قد جعل البيان من أعظم خصائص الإنسان وجعل له وسائل متعددة أعلاها وأهمها اللسان ثم جعل له وسائل أخري مهمة ومعاونة ومن أهمها بعد اللسان الإشارة والتي تؤدي ما يؤديه اللسان بل ربما تصلح في مواضع لا يصلح فيها اللسان ،وقد تعارف الناس علي أن التعبير الراقي هو الأدب وقد وجدت أن من الإشارات ما يبلغ من درجة الرقي في التعبير أعلاه لذا نهضت لإعداد هذا البحث وكنت قد فكرت في كتابته منذ زمن لكن خزّلني عنه بعض أساتذتي بدعوى أن الإشارة ليست من الأدب ثم رأيت بحوثا في البلاغة تحدثت عن الإشارة وبلاغتها فنشطت همتي وانتعشت عزيمتي لهذا الموضوع فقمت أدلي فيه بدلوي وقد جعلت البحث في:

تمهيد : وفيه تحدثت عن أهمية التواصل في حياة الإنسان وحاجة الناس للفهم والإفهام وأن الأصل اللفظ وهناك الإشارة ولها أهميتها العظيمة في أداء المعاني..

المبحث الأول: المقصود بالإشارة . وفيه تحدثت عما أعنيه بالإشارة وبينت أنه ليس ما يذكره البلاغيون ويعنون به التعبير بألفاظ قليلة علي معان كثيرة ،إنما هي كل ما يصدر عن الإنسان من حركات تفهم معني بدون اللفظ أو معه وذكرت في المبحث ما تقوله اللغة عن الإشارة ومدي توائمه مع المعني الذي نذكره.

المبحث الثاني :أهمية الإشارة . وفيه تحدثت عن قيمة الإشارة وأنها أقوي في التأكيد واليقين من العبارة لأن العيان أقوي من السماع وبينت أهميتها حتى عند

الفقهاء وما تؤديه لهم من قواعد استنبطوها من الإشارات التي وردت في الكتاب والسنة المطهرة وقسمت الإشارة من حيث أهميتها إلي: – لغة كاملة لملايين البشر ، – لغة معاونة في بعض المواقف وكثير من المهن ، – ولغة راقية تؤدي من المعاني ما يعجز عنه اللفظ .

المبحث الثالث: الإشارة والصورة.وفيه بينت أهمية الإشارة في تكوين أجزاء الصورة الأدبية وفية عرجت علي مفهوم الصورة عند النقاد ثم فصلت بعض الصور التي كونتها الإشارة .

المبحث الرابع :الإشارة والخيال.وفيه ذكرت أهمية الخيال وقيمته في العمل الأدبي ثم قيمة الإشارة في إذكاء الخيال وإضافة بعد أدبي رائع عليه وفتح مجالات رحبة لانطلاق الخيال وقد وضحنا ذلك من خلال التطبيق علي الحديث النبوي الشريف .

المبحث الخامس:الإشارة تشمل.وفيه ذكرت ما تشمله الإشارة التي جعلناها محور هذا البحث وقد شملت:حركات اليد ، الرمز،الإيماء ، اللمحة ،اللحن أو الوحي ،اللمع ،الومض ،حركات العين، حركات الوجه وهيئته ، حركات الرأس ،حركات الجسم وقد بينا ذلك .

المبحث السادس:الإشارة وكتاب الله تعالي.وقد ذكرت فيه بعض ما جاء من صور الإشارة في كتاب الله تعالي وهو ما يدلل علي قيمة الإشارة وبلاغتها وذكرت أقوال المفسرين حول هذه الصور.

المبحث السابع:العرب والإشارة. وفيه تناولت الأدباء والعلماء العرب في تناولهم وفهمهم للإشارة ومنهم سحبان وائل وعبد الملك بن مروان وأبو العيناء وابن المقفع والجاحظ وأبو شمر وابن وهب الكاتب والآمدي وابن جني وابن سنان الخفاجي وأبو إسحاق إبراهيم الشيرازي والفخر الرازي وعبدالله بن محمد بن جميل (الباحث)وابن رشيق القيرواني والقلقشندي .

المبحث الثامن:بلاغة الإشارة. ووقفت فيه علي دلالة بلاغة الإشارة وأهميتها ووردها في كتاب الله و الحديث النبوي الشريف..

المبحث التاسع:ضوابط الإشارة .وهو – عندي– من أهم مباحث الدراسة لأني حاولت فيه الوقوف علي ما يمكن أن يكون ضابطا للإشارة وقاعدة لها وقد استعنت فيه بأقوال علمائنا السابقين واستنبطت هذه الضوابط من خلال النظر في إشارات سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنه المثل الأعلى في البلاغة والبيان وكل ما يصدر عنه هو القمة في البيان...

ثم جاء فهرس المصادر والمراجع وتلاه فهرس الموضوعات..

ولقد بذلت في هذا البحث وسعي وأردت أن يكون ورقة تقرأ في هذا المجال وتنفع ، وأدعو الله أن يمكنني من إكمال الدراسات التي أريدها في هذا الموضوع ..

فإن كان هذا البحث في صورة حسنة فالفضل لله وحده وله الحمد من قبل ومن بعد وان كان فيه نقص أو قصور فمن قصر ذراعي وقلة إطلاعي وضيق عطني...

والله يجبر ويغفر وهو من وراء القصد والهادي إلي سواء السبيل .

تمهيد: الإنسان والتواصل

(الفهم والإفهام)

خلق الله الإنسان وكرمه علي خلقه جميعا حيث سواه بيده ونفخ فيه من روحه وأسكنه جنته لأجلٍ قدّره ...ثم أهبطه إلي الأرض ليعمرها ويسير فيها بالإصلاح علي نهج وضعه له وقد خلق له من نفسه الزوج التي يسكن إليها وتكون معه سببا معينا لتمام إعمار هذه الأرض ثم نشر منهما ذرية ملأت أركان الأرض وعمرت جوانبها ولابد من وسيلة للتفاهم والتواصل بين الإنسان ومن يشاركه من جنسه حتي يتم التعايش بينهم لاسيما وأن هذا الإنسان مدني بطبعه يميل إلي مخالطه جنسه والتعايش في جماعات وقد كانت هذه الوسيلة التي خلقها الله له هي اللسان – علي اختلافه – فقد جعلها الله وسيلة التواصل والتفاهم بل والتكامل مع الآخر وهي الطريقة التي يتواصل بها الخلق مع خالقهم ومولاهم بواسطة الرسل يقول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [1] فكان الأصل المعتمد في البيان عن المراد هو اللفظ ، وأعظم المعارف الإنسانية ما قامت إلا علي الكلام ،وآلة ذلك اللسان ؛ ولذا كان كل نبي مبلغاً رسالة ربه – في المقام الأول – بلسانه ،ليتم البيان،ويكتمل الإفهام ؛ فلا يكون ثمّ عذر لمعتذر ؛ فمدار الأمر على البيان والتبيين ، وعلى الإفهام والتفهيم .

ولما كان اللسان هو المناط به– في المقام الأول – عملية الإفهام فكلما كان أبين

كان أعظم في توصيل المنوط به توصيله وكان أحمد عند الناس لذا لما كان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ذا عقدة [2] في لسانه فصار من يسمعه لا يكاد

---

١ – ابراهيم آية٤ سورة .

٢ – نقول- والله أعلم- العقدة التي كانت في لسان سيدنا موسى عليه السلام لم تكن مرضا أو عيبا خلقيا كما يذكر بعض المفسرين ويعللونها بتناوله عليه السلام الجمرة التي قدمها فرعون اختبارا له وهو طفل في المهد فلو صح هذا الاختبار لاكتفي نبينا موسى عليه السلام بإمساك تلك الجمرة والتي تحرق يده =

يفهم عنه مراده ، ورأي موسي في ذلك تقصيرا في أداء رسالة الله – سبحانه – فما كان أسرع من أن دعا ربه قائلاً : (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي [1] فكانت الإجابة من رب العالمين : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى [2]

وقد اتسعت الدراسات حول اللفظ وأهميته ووسائل أدائه بل ودرس الباحثون الفرق في اللفظ في استعمالاته في المجالات المختلفة كالعلم مثلا أو الأدب ؛ فذكروا أن هناك فرقاً بين استعمال الألفاظ في المجال العلمي وبين استعمالها في الميدان الأدبي .

فالألفاظ تستخدم في مجال العلم استخداماً أدائياً وبقدر دقة اللفظة في الدلالة على معناها المحدد يكون نجاحها ، وينبغي على العالم أن يحاول تخليصها مما علق بها من معان ثانوية وظلال إيمائية وإيقاعات موسيقية لأن هدفه يكمن في توصيل المعقل والمعرفة بمعلومة وفكرة محددة وهو في حالة تسجيلها لا يكون واقعاً تحت إثارة عاطفة تحت أي سبب .

= وتلسعها فلا يلبث أن يتركها كما هو طبيعي في مثل هذه المواقف لكل الأطفال ولأكتفي منه فرعون وزال شكه بمجرد الإمساك للنار فلن تصل النار إلي لسانه ولن يستطيع احتمالها حتي يضعها علي لسانه بل انه لو فعل ذلك أمام فرعون وتحمل الجمرة حتى وضعها علي لسانه لكان ذلك ادعي إلي الشك واجلب إلي الريبة في قدرة هذا الطفل...أما العقدة التي ذكرت في كتاب الله تعالي وطلب موسي عليه السلام حلها فهي عدم طلاقة موسي عليه السلام في لغة فرعون وقومه نظرا لأنه لبث في أهل مدين عشر سنين يتكلم بلغتهم مما اثر علي لغته المصرية وهذا نراه كثيرا في دنيا الناس فالذي يسافر بلدا غير بلده ويلبث فيها سنينا ثم يعود يجد ثقلا في التخاطب مع أهله .مجرد التخاطب فيه ثقل فما بالكم بالدعوة التي تحتاج إلي مجادلات ومحاورات فصاحة وبلاغة ...ثم إن القرآن بين أن موسي (عليه السلام) ذكر في تعليله لاختيار أخيه هارون "أفصح مني لسانا" وأفصح صيغة تفضيل أي أن موسي فصيح لكن هارون أفصح في لغة القوم ، ثم إن الأنبياء هم في أعلي درجات الكمال البشري في الصفات وأهم صفات الإنسان البيان لذا جاءت في معرض بيان أفضال الله علي خلقه وأهمها بعد نعمة القرآن للمسلمين (خلق الإنسان علمه البيان) فمن غير المقبول قبول داعيا لا يستطيع أن يبين حجته فكيف نبي!!

١– طه . آية : ٢٨،٢٧

٢– طه . آية :٣٣٦

أما الأدب فيستخدم الألفاظ والعبارات استخداماً انفعالياً ...

بمعنى أن الأديب يعمد إلى الألفاظ ، التى تلفظ بشحنات عاطفية اكتسبتها من خلال استخدامها عبر تاريخها الطويل ، ومثل هذه اللفظة – وينبغي أن تكون مألوفة – هي التى تستطيع رفع مشاعر المتلقي إلى التداعي وتتيح له أن يسبح في عالم الأديب ويستمتع معه وهو حالة نشوة عاطفية تشبه حالة الأديب لحظة انطلاقه الفني [1] .

فاللفظة في الأدب لا تستخدم للتعبير عن المعنى فقط ، لأن عطاءها الأدبي غير محدود " فمن اليسير أن تقول وقت الظهيرة قد حان ، فتؤدى المعنى ، ومن ذلك قول الأعشى : وقد اتعلت المطي ظلالها

للعبارة عن نفس المعنى ، لكن شتان ما بين التعبيرين [2] .

أما في العلم فتؤدى اللفظة معنى دقيقاً محدوداً ، لا يختلف فيه اثنان ، أما في الأدب فالمحدود هو حروفها ، وما تشغله من زمن أو فراغ على ورق ، أما معناها فإنه غير محدود وذلك راجع إلى أن الدلالة العقلية للكلمات دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض أما الدلالة العاطفية فغير واضحة ، ولا مستبينة ، ولذلك قالوا : إن الكلمات في الأدب رموز ، رموز بالقياس إلى

الأديب الذي يتحول العالم الخارجي كله في نفسه إلى رموز أيضاً [3] .

ذلك أن مفردات اللغة ليست إلا رمزاً لصور ذهنية محصلة من قبل ، وهى لا تستخدم لذاتها بل لتقيم بفضل عوامل الصنعة التى تضيفها إليها ، طائفة من العلاقات بين الأشياء أو بين الأشياء والأحداث [4] .

---

١ – التوظيف اللغوي في الكتابة العلمية والأدبية . مقال للدكتور : رزق محمد سيد أحمد داود . مجلة كلية اللغة العربية . ابناى البارود . العدد الثالث عشر ١٤١٧هـ ١٩٩٧ م .

٢– في الميزان الجديد . د . محمد مندور . ص : ١٢٣ . ط : دار نهضة مصر . ١٩٧٧م.

٣– في النقد الأدبي . د . شوقي ضيف . ص ٧٤ . ط: دار المعارف (الرابعة) .

٤– النقد الأدبي الحديث . د. محمد غنيمى هلال . ص : ٣٦٢ . ط : دار النقافة بيروت . ١٩٧٣ .

وإذا كان اللفظ المنطوق قد حاز هذا القدر من الأهمية في البيان ، فمما لا شك فيه أن هناك وسائل بيانية أخرى يعمد إليه البلغاء ، ولها من القدر والأهمية ما يقارب قدر اللفظ، أو تساويه وذلك كالبيان بالإشارة ، والبيان بالخط ، وبالعقد ، وبالحال .

والذي يقلب في البيان العربي كله ، نثره وشعره ، يلحظ ذلك جيداً ، وعلي رأس هذا البيان المثل الأعلى المحتذي في البلاغة والفصاحة وهو القرآن الكريم كتاب الله عز و جل والذي حفظه الله – تعالي– بنفسه ثم حديث النبي – صلي الله عليه وسلم– حيث يلحظ حرص الرواة علي نقل ألفاظه وإشاراته وأحواله ترى الراوي مثلاً يقول : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – كذا – وأشار بإصبعه ، أو أشار إلي الأرض ، أو وأشار إلي جهة كذا..... إلخ .

وهذه النصوص التي حرص الرواة علي نقلها ليست من العبث ، كما أنها ليست من التوافل في عالم البيان ، بل إن لها دوراً فاعلاً في الدلالة وبلاغتها قد لا يقل عن دور الكلمة ، لذلك نقلها الرواة كما هي دون أن يغيروا فيها ولو بجزء من حركة بل أحيانا كانوا يذكرونها لفظا مع فعلها كما فعلها النبي (صلي الله عليه وسلم) لفهمهم لقيمتها وان النبي فعلها وهو يريدها لعلمه لقوة أدائها وتأثيرها في الناس و لو شاء صلى الله عليه و سلم لاستبدلها بكلمات كثيرة و ألفاظ غزيرة فهو سيد البلغاء و لا يعجزه أي معنى أن يعبر عنه بأكثر من لفظ لكنه أراد الإشارة فكان الرواة ينقلونها نقلا أمينا راويا عن راوي كما رأوها كل عمن سبقه حتى تصل إلى أول راو عن رسول الله (صلى الله عليه و سلم)

المبحث الأول

المقصود من الإشارة

... لا أقصد ما يدرسه البلاغيون تحت هذا العنوان ويعنون به في الإشارة كما ذكر صاحب (الصناعتين):" أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معان كثيرة، بإيماء إليها ولمحة تدل عليها، وذلك كقوله تعالى: "إذ يغشى السّدرة ما يغشى [1]. وقول الناس: لو رأيت عليّا بين الصفين، فيه حذف وإشارة إلى معان كثيرة [2].

ولا ما ذكره قدامة عند حديثه عن ائتلاف اللفظ والمعني ،وجعل من هذه الأنواع الإشارة ، ثم عرفها فقال:

" الإشارة : أن يكون اللفظ القليل مشتملاً علي معاني كثيرة بإيماء إليها ، أو لمحة تدل عليه، كما قال بعضهم ، وقد وصف البلاغة فقال : (هي لمحة دالة) ويقول مستشهداً على الإشارة:

فإن قَملك شنوءة أو تبدل ... فسيري إنّ في غسان خالا

لعزهم عززت وإن يذلوا ... فذلهم أنالك ما أنالا

ثم قال : " فينبه هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال ، فمن ذلك : " قملك أو تبدل "... ومنه قوله : " إن في غسان خالا"

... ومنه ما تحته معان كثيرة ، وشرح ، وهو قوله: " أنالك ما أنالا [3] .

ولا ما عقد له ابن رشيق القيرواني في كتابة:(العمدة) بابا كبيرا بدأ فيه بإبراز جمال هذه الدلالة (الإشارة) فقال :

الإشارة من غرائب الشعر وملحه، وبلاغة عجيبة، تدل علي بعد المرمي ، وفرط المقدرة ، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز ، والحاذق الماهر ، وهي في كل نوع

---

١ - النجم آية ١٦

٢ - الصناعتين .لأبي هلال العسكري :٣٨٣ تح :علي محمد فضحة .ط.دار الكتب العلمية بيروت (الثانية ١٩٨٤م)

٣- نقد الشعر لقدامة بن جعفر ١٥٥ تح:كمال مصطفي نشر مكتبة الخانجي القاهرة (الثالثة)

من الكلام لمحة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملا ، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه فمن ذلك قول زهير:

فإني لو لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفاء

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه ، وهذا عند قدامة أفضل بيت في الإشارة [1].

ولا ما ذكره صاحب (نضرة الإغريض) حيث يقول :" (باب الإشارة [2]

والإشارة من محاسن البديع، ومعناه اشتمالُ اللفظِ القليل على المعاني الكثيرة وإنْ كان بأدنى لَمحٍ يُستدلّ على ما أُضمِرَ من طويل الشرحِ كقولِ امرئ القيس :

على هيكلٍ يُعطيكَ قبلَ سؤاله ... أفانينَ جرْيٍ غيرِ كزٍّ ولا وانِ

تأمّل ما تحت لفظة أفانين، وما اقترنَ بها من جميع أصناف الجوْدة، ثم نفى عنه الكزازة والوَنى وهُما أكبر معايب الخيْلِ ".

وإنما أعني بالإشارة :هي كل ما يفهم منه المخاطب معنى بخلاف العبارة ،أو هي كل ما يصدر عن الإنسان بخلاف الكلام و يؤدي إلي إفهام معني كما تفهم العبارة [3]

---

١ - العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده .لابن رشيق القيرواني:تح:محمد محي الدين عبد الحميد :١٣٠٢/١ ط.دار الجيل بيروت (الخامسة ١٩٨١م)

٢- نضرة الإغريض في نصرة القريض .المظفر بن الفضل العلوي .٣٣ .

٣- كذلك لا نقصد الإشارة وهي :"الإشارة من غرائب الشعر وملحه. وبلاغة عجيبة، تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة،وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر. وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه: فمن ذلك قول زهير:

فإني لو لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفاء

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه، هذا عند قدامة أفضل بيت في الإشارة . وقول الشاعر:

فلما استطاعوا صب في الصحن نصفه

=

ووالى بماء غير طرق ولا كدر

وقبل أن نستطرد في الحديث عن الإشارة بمفهومها الذي ذكرناه نحب أن نستجلي معناها في اللغة .

أصل ذلك المعنى في اللسان : أشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه [١] وأصل الإشارة من قولهم : شار العسل يشوره شورا وشيارا وشيارة ومشارا ومشارة استخرجه من الوقبة واجتناه قال أبو عبيد : شرت العسل واشترته : اجتنيته ، وأخذته من موضعه [٢] . وقالوا : شار الدابة يشورها شورا : إذا عرضها لتباع [٣] والشارة عند العرب والشورة : الهيئة واللباس [٤] ومنه الحديث " أن رجلا أتاه وعليه شارة حسنة [٥] . وقالوا : رجل حسن الشارة حلو الإشارة ،وفلان صير شير : حسن الصورة والشارة [٦] ولما كان اللباس والهيئة عرَضَين يعرف الإنسان بهما . قالوا : الشوار [٧] والشارة اللباس والهيئة قال زهير:(من البسيط)

مقورة تتبارى لا شوار لها إلا القطوع علي الأكوار والورك [٨]

= ويروي " ووالوا وإياه أردت، ويروى " استظلوا" من الظل مكان " استطابوا" جعل الماء والشراب قسمين قالوا الشراب، فتسلق الحسن عليه، وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة في الكؤوس، إلا أنها سرقة طريفة مليحة، ولم يكن أبو نواس يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ القيس وأصحابه. ينظر العمدة ٣٠٢:٣٠٦/١

١ – لسان العرب لابن منظور مادة شور ٢٣٥/٧.ط.دار إحياء التراث العربي.مؤسسة التاريخ العربي بيروت١٩٩٩م

٢– العين للخليل بن أحمد الفراهيدي باب الشين والواو والراء ٥/ ٢٨٠ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٨هـ ٢

٣– النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين بن الأثير ٥٠٨/٢ تح:طه الزاوي ود.محمود الطناحي ط.المكتبة العلمية بيروت. ٣

٤–اللسان شور٣

٥ – النهاية ٥٠٨/٢

٦ – أساس البلاغة شور ٣٤٠.

٧ – مازالت هذه الكلمة تستعمل على الألسنة بل للعامة تحفي الهيئة الحسنة والتجميل وقد اقترنت بالعرائس .

٨ – ديوان زهير بن أبي سلمى ٢٦٨

و يلاحظ أن أصول مادة " شار " تدل علي عدة معان منها : إظهار الشيء ، وعرضه ، والإيماء إليه، ولفت الأنظار له ؛ فكما أن الهيئة الحسنة تلفت النظر وتستدعيه فكذلك صاحب الإشارة يلفت الناس بتلك الإشارة لفهم لمعانيه .

إذن فالمعنى الذي نطرحه للإشارة مأخوذ من بطون تلك المعاني اللغوية لها !!

ونحن لا نعرض للإشارة من باب أدائها للمعاني ودلالتها عليها وحسب بل لشدة بلاغتها في أداء معان أكثر من دلالة الألفاظ عليها وأدائها لها....

ولا يهمنا هنا دراسة الإشارة من ناحية المظاهر الزمكانية _ وهو ما يدرسه أصحاب الدرس اللغوي _ ويعنون به : دراسة الزمان الذي تستغرقه كل إشارة أو حركة جسيمة والحيز المكاني الذي تتم فيه ويتمثل الجانب الزماني في السرعة والبطء والمفاجأة التي تتم بها ... و يتمثل الجانب المكاني في دراسة شكل الحركة متعرجة أو مستقيمة أو ذات زوايا و اتجاهات بشكل أفقي في مواجهة المتكلم أو من أعلي أو أسفل أو العكس [١] .

---

١ – الإشارات الجسمية ص ٦٤ .

المبحث الثاني
أهمية الإشارة

إن كان الكلام حركات مسموعة منسوبة للجهاز النطقي ؛ نتيجة لتحريك أعضاء النطق، فالإشارة حركات مرئية منسوبة لأعضاء الجسم ؛ نتيجة تحريكها ، فالأولي لغة سمعية تدركها الأذن ، والثانية لغة بصرية تدركها العين .

وفي اجتماع العقول أن العيان أقوي من الخبر دليل علي أن الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوي من الكلام [1] وقد جاء في كتاب الله ما يؤيد ذلك ، من ذلك ما حكاه القرآن عن موقف أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فقد قال : " ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلي و لكن ليطمئن قلبي [2] . و- يقينا - الإيمان قائم موجود راسخ في قلب إبراهيم - عليه السلام - بإخبار رب العزة له ولكنه يريد لهذا الإيمان أن يرتفع لأقصي درجاته وذلك بمشاهدة العيان لما للعيان من أثر و قوة ؛ فهو يريد أن ينتقل من علم اليقين إلي عين اليقين كما يقول أهل التفسير.

وفي السنة النبوية ما يبين أثر الإشارة وأهميتها والحكم بها علي أغلي ما يملكه الإنسان في دنيا الناس وهو الإيمان و ما ورد لنا في ما حكم به النبي - صلي الله عليه و سلم - من أمر السوداء حين قال لها : أين الله ؟ فأشارت برأسها إلي السماء! فقال: أعتقها فإنها مؤمنة . ويعجبني هنا تعليق الإمام القرطبي علي هذه الحادثة حيث قال : فأجاز الإسلام بالإشارة الذي هو أصل الديانة الذي يحرز الدم والمال وتستحق به الجنة و ينجي به من النار وحكم بإيمانها كما يحكم بنطق من يقول ذلك ؛ فيجب أن تكون الإشارة عاملة في سائر الديانة ! وهو قول عامة الفقهاء روي ابن القاسم عن مالك أن الأخرس إذا أشار بالطلاق فإنه يلزمه وقال الشافعي في الرجل يمرض فيختل لسانه فهو كالأخرس في الرجعة والطلاق وقال أبو حنيفة ذلك جائز إذا كانت إشارته تعرف وإن

١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/١٣١٠ ط.دار الريان للتراث.
٢ - سورة البقرة آية ٢٦٠.

شك فيها فهذا باطل وليس ذلك بقياس وإنما هو استحسان والقياس في هذا كله إنه باطل لأنه لا يتكلم ولا تعقل إشارته قال أبو الحسن بن بطال: وإنما حمل أبا حنيفة علي ذلك هذا أنه لم يعلم السنن التي جاءت بجواز الإشارات في أحكام مختلفة من الديانة ، ولعل البخاري حاول بترجمته (باب الإشارة في الطلاق والأمور) الرد عليه [1] .

وقد ألف بعض علماء الفقه رسائل فقهية حول الإشارة بالإصبع السبابة (المسبحة) وتحريكها في التشهد [2] . منهم : إبراهيم بن حسين بن أحمد بيرى [3] وهي : " رسالة في حكم الاشارة في التشهد" . و منهم محمد بن عبد رب الرسول [4] له رسالة في الإشارة بعنوان " الإغارة المصبحة على مانعي الإشارة بالمسبحة" و منهم : محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز المشهور بن عابدين له رسالة أيضا في الإشارة بعنوان :" رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد:. وللشيخ عبد العزيز بن محمد الصديق الغماري - من المعاصرين - رسالة تقع في تسع صفحات يرجح فيها الإشارة و عدم التحريك و عنوانها :" الإنارة بما ورد في تحريك المصلى إصبعه عند الإشارة ".

و للعلامة المحدث الفقيه : ملا على بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤ هـ رسالة في الإشارة بعنوان :"تزيين العبارة لتحسين الإشارة " وبذيله رسالة بعنوان : " التدهين للتزيين على وجه التبيين " وهو بحث فقهي حول الإشارة وتحريكها في التشهد . وقد استدل الشيخ ملا القاري على حسن الإشارة وتزيينها للعبارة في التشهد عند النطق بكلمة التوحيد من الكتاب والسنة أما أدلتها من الكتاب إجمالا

١- الجامع لأحكام القرآن ٣ /١٣٢٣.
٢ - ينظر :البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية د.عبد الله محمد سليمان هنداوي ص:٤٢:٣٩ .
٣ - (١٠٢٣- ١٠٩٩)هـ فقيه من فقهاء الحنفية بمكة المكرمة تبحر في العلوم و حرر المسائل و انفرد بعلم الفتوى له أكثر من مائة كتاب و رسالة.
٤- من فقهاء الشافعية استقر بالمدينة و تصدر فيها للتدريس.

فقوله تعالى : " وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله [١] ، وقال تعالى : " من يطع الرسول فقد أطاع الله [٢] ومن السنة أحاديث كثيرة رويت بألفاظ متفقة غالبا و فيه اختلاف في الألفاظ قليل . نذكر منها : ما روى عن ابن عمر – رضي الله عنهما– قال : كان رسول الله إذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ، ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى ، وعقد ثلاثة وخمسين وأشار بالسبابة [٣] .

وفسر العقد المذكور : بان يعقد الخنصر والبنصر و الوسطى ويرسل الإبهام إلى أصل المسبحة . وفي رواية : كان إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه ورفع إصبعه اليمنى التي تلي الإبهام يدعو بها – أي يشير بها– ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها " ويرى جمهور الفقهاء أنه يرفع إصبعه السبابة ولا يحركها فقد روى عن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما– أنه قال :" كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يشير بإصبعه إذا دعا ولا يحركها [٤] فهذا يدل على أنه لا يحرك الإصبع إذا رفعها للإشارة إلا مرة واحدة . يرفعها عند قول "لا إله" ويضعها عند قول :"إلا الله" لمناسبة الرفع للنفي ، ولملاءمة الوضع للإثبات حتى يطابق القول الفعل في التوحيد والتفريد.

وكان ابن الزبير يقول : لم يكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحرك مسبحته إلا عند إشارته و كان ينوى بها التوحيد والإخلاص .

وقال بعض الفقهاء في معنى التحريك: هو قمع وطرد للشيطان ، واشتغال عن السهو كما أشار إلى ذلك الباجي في المنتقى ، وعارضه ابن العربي المالكي في :" عارضة

١- سورة الحشر آية ٧ .
٢- سورة النساء الآية ٨٠ .
٣ - مشكاة المصابيح ١/٢٨٥ – ٢٨٩ .
٤- رواه أبو داود و النسائي ، و زاد أبو داود . و لا يجاوز بصره إشارته .

الأحوذى" . وقد علق الدسوقي [١] بأن تحريكها يذكره أحوال الصلاة ، لأن عروقها متصلة بنياط القلب ، فإذا تحركت انزعج القلب فيتنبه لذلك ، ومن الأدب في الصلاة والتزام السكينة والوقار المؤديان إلى الخشوع في الصلاة هو أن المؤمن في حال جلوسه للتشهد في الصلاة ينبغي عليه أن لا يجاوز بصره إشارته . وعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" إن جزءا من سبعين جزءا من النبوة تأخير السحور ، وتبكير الإفطار ، وإشارة الرجل بإصبعه في الصلاة .

وذكر الإمام مالك – رحمه الله – في موطئه : أخبرنا مسلم بن أبي مريم عن على بن عبد الرحمن المعاوى أنه قال : رآني عبد الله بن عمر وأنا أعبث بالحصى في الصلاة ، فلما انصرفت نهاني وقال : اصنع كما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصنع – فقلت : وكيف كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصنع قال : كان رسول الله (صلى الله عليه و سلم) إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى ، وقبض أصابعه كلها ، وأشار بإصبعه التي تلي الإبهام ، ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى . و في رواية :" حلق الإبهام و الوسطي ، و أشار بالسبابة [٢] وعن أبي هريرة قال : إن رجلا كان يدعو (أي يشير) بإصبعه فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " أحد أحد " كرر للتأكيد في التوحيد أي أشر بإصبع واحدة ، لأن الذي تدعوه واحد سبحانه وأصله : وحد أمر مخاطب من التوحيد فقبلت الواو همزة .

وقد جعل علماء الأصول الإشارة دلالة كاللفظ بل ربما تفوقه في أداء المعنى " ... و عندهم أن المتكلم قد يفهم بإشارته وحركته في أثناء كلامه ما لا يدل عليه نفس اللفظ فيسمي إشارة [٣] .

١- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/٢٥١
٢- انظر: تزيين العبارة لتحسين الإشارة للعلامة ملا على القاري ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢، ٥٣.
٣ - سبل الاستنباط من الكتاب و السنة د محمود توفيق ص ١٨٢ ،مطبعة الأمانة١٩٩١م

تغني عن الإشارة لأنها إن لم تكن وسيلة بيان فهي معينة عليه ومنبهة إليه يقول شمس الحق العظيم أبادي :" دأب الوعاظ والقصاصون أنهم يحركون أيديهم يمينا وشمالا ينبهون السامعين إلي الاستماع [1] .

وقد لحظ شراح الحديث النبوي هذا الأمر فجعلوا له بابا خاصا فتراهم يقولون مثلا : باب الإشارة في الخطبة .. باب الرجل يشير بيده ... باب رفع اليدين علي المنبر ... إلخ .

كل ذلك دليل ساطع وبرهان قاطع علي أهمية الإشارة لأداء المعاني .

وهناك مواقف ومهن لابد فيها من الإشارة كعامل مساعد أو عامل أساس فهي عامل مساعد في فنون مثل إنشاد الشعر ، والرقص ، والغناء وتجاوب المشاهدين بينه ويعبر عنه الإشارات والحركات الجسمية معهم . وهناك إشارات تعد عاملا أساسيا في مهن ولابد منها وذلك في الجيوش ، والفرق الرياضية ، والكشافة وبصفة خاصة للعاملين في الموانئ والمطارات والذين لا يتم أعمالهم إلا بالاعتماد علي الإشارات .

ويمكن تقسيم الإشارة من حيث أهميتها وأدائها للمعاني إلى:

– الإشارة لغة كاملة للتفاهم والتواصل والتعايش لطائفة كبيرة من البشر يبلغون الملايين في شتى أنحاء المعمورة وهم الصم والبكم وقد نالت لغة الصم و البكم اهتماما بالغا في السنوات الأخيرة سواء من الناحية العملية ، أو التقدم التكنولوجي ، ويرجع هذا الاهتمام – من ناحية– إلي الاقتناع المتزايد في المجتمعات المختلفة بأن الصم و البكم – كغيرهم من أفراد المجتمع – لهم الحق في الحياة ، و في النمو بأقصى ما تمكنهم منه قدراتهم ، و طاقاتهم و من ناحية أخري فإن اهتمام المجتمعات بالصم و البكم يرتبط بتغير النظرة المجتمعية إلي هؤلاء الأفراد ، فقد تحولت النظرة من اعتبارهم

١ – عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي ٣/٣١٨.ط.دار الكتب العلمية بيروت.

عالة اقتصادية علي مجتمعاتهم إلي النظر إليهم كجزء من الثروة البشرية ، مما يحتم تنمية هذه الثروة والاستفادة منها إلي أقصي حد ممكن [1] ، وقد تحولت الآن للغة علمية لها قواعدها وأسسها وضوابطها بل لها باحثوها المتخصصون الذين يحاولون أن يجعلوها يسيرة سهلة تصل إلى درجة من الانتشار تمكن الناس جميعا من فهمها حتى تفاهم هذه الملايين المصابة بالصمم والبكم مع غيرهم ممن انعم الله عليهم بنعمة السمع والكلام لاسيما والجميع يعيشون في مجتمع واحد يقوم عليهما معا.. "وأيضا قد تستقل الإشارة بأداء دور اللغة كاملا عند غير الصم والبكم وتقوم بتحقيق العملية الاتصالية دون تدخل من وسيلة اللغة المنطوقة لو عجز الكلام أو قصر، وأظهر ما يكون ذلك عند الشعوب البدائية مثل سكان استراليا الأصليين وكذلك عند عدم وجود اللغة المشتركة بين المتفاهمين أو حيث يحول حائل من استخدام وسيلة الكلام كبعد المسافة مثلا أو المحافظة على سرية الحديث أو تحريم النطق لسبب ديني [2] .

– والإشارة لغة معاونة في كثير من المواقف والمهن فهناك مواقف يكون المتكلم بعيدا عن السامع ولابد لهم من التفاهم ، والصوت آنئذ يكون عاجزا عن الوصول إلى السامع ، فيستعيض المتكلم عن الصوت بالإشارة ويستعيض السامع عن الأذن بالعين التي تتلقى الإشارة ويحدث بينهما تفاهم ... وهناك مهن كثيرة تكون الإشارة عاملا مساعدا مثل الطبيب وهو في حجرة العمليات وقد وضع هو وجميع الطاقم داخل الحجرة الكمامات على أفواههم للتدابير الصحية وهذا يؤثر على الصوت – إن لم يمنعه– ويحتاج إلى التفاهم مع من يعملون معه وتأتي الإشارة هنا لتقوم بدور الإفهام بينهم جميعا...وكذلك المهندس والمقاول الذي يخاطب عمالا بينهم مسافات كبيرة أو في أدوار مرتفعة ومع وجود أصوات عالية وضجيج للآلات التي

١ – سيكولوجية اللغات الخاصة ص١٩ (بتصرف).
٢ – علم اللغة أسسه ومناهجه :ص ١٤ .وينظر :الأصوات والإشارات :ص ١٧

تحيط بالجميع فالتفاهم بينهم بالصوت والسمع في هذه الحالة – ومع الحاجة الشديدة إلى السرعة التي تقتضيها الآلات التي تعمل معهم – ضرب من المستحيل وهنا تأتي الإشارة كعامل معين للتفاهم... وكذلك رجل المرور يعتمد أساسا على الإشارة في التفاهم مع قائدى المركبات المختلفة وإيصال ما يريده لهم ، والذين كثيرا ما يكون بينه وبينهم سياج من الزجاج ...أضف إلى ذلك كثيرا من المهن والتي لو فصلنا الحديث عن ذلك لطال بنا الكلام مثل الفرق الرياضة والعاملين في المطارات الجوية وكذلك الموانئ البحرية وعلى الجملة قلما تجد مهنة على الأرض إلا وتحتاج إلى الإشارة بل ولها إشاراتها الخاصة بها والتي يفهمها أهلها وذووها ، " فالإشارة صاحب ومعين للكلام والنطق وهذا أمر عام لا يكاد يخلو منه موقف اتصالي عند فرد من الأفراد،أو جماعة من الجماعات فمن منا يتحدث في أي موقف من المواقف دون أن يشير بيده أو برأسه أو بملامح وجهه وتقاطيعه [1].

– والإشارة لغة راقية تؤدى ما يفوق أي ألفاظ يمكن أن يقولها المتكلم في المجالات التي تحتاج إلى البيان والفصاحة وذلك في الخطب والمحافل الدينية والثقافية والأدبية والاجتماعية والسياسية وفى مجالات المرافعات والدفاع (المحاماة) وفى مجالات التعليم والتدريس ... وقلما تجد بليغا اشتهر بالفصاحة واللسن لم يستعمل الإشارة وسيد البلغاء – صلى الله عليه وسلم – خير من دلل على قيمة الإشارة باستعماله إياها وقد أخذنا ضوابط الإشارة – كما سيأتى – منه (صلى الله عليه وسلم) " إن إشارة باصبع أو إيماءة برأس أو تلويحة بقبضة يد قد تعنى لمن يرى الشئ الكثير وقد تعطيه تفسيرات كثيرة لما يسمع وتجعله في غاية من الوعي بما يريد توصيله إليه [2].

١ – علم اللغة أسسه ومناهجه :ص ١٤ .
٢ – نفس المصدر ص ١٤ .

بل وفي مواقف تكون الإشارة أرقي من العبارة وأفضل استخداما حين يتطلبها المقام ويقتضيها الحال وكمثال : زكريا (عليه السلام) بعد البشارة يحي نهاه الله عن الكلام ومنعه وكان خطابه للناس وتواصله معهم عن طريق الإشارة ، فالإشارة في حاله أقوي من العبارة لأن حاله حال شكر علي هذه النعمة العظيمة والمعجزة الباهرة وهذه الحال تستلزم عقل اللسان عن كل ما سوي الله والانصراف بالكلية إلي شكر نعمة المنعم بذكره ودوام تسبيحه مدة ثلاثة أيام بلياليها ولذلك يقول الزمخشري مبينا مدي مطابقة الجواب للسؤال "وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه [1].

أي أحسن الجواب أن يراعي فيه – بعد المناسبة في المعني – المناسبة في اللفظ كما ذكر أنه لما طلب الآية للشكر أجيب بأن آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر [2].

وقد جاء عنه (صلى الله عليه وسلم) من الإشارات ما يحتاج إلى إفراد بحث له – إن شاء الله – لكن سنكتفي هنا بدلالات تؤكد ما ذهبنا إليه .

١ – الكشاف ٤٢٩/١ .
٢ – البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية : ٣٢ (بتصرف).

المبحث الثالث

الإشارة و الصورة

للإشارة دخل كبير في بناء الصورة وتركيب أجزائها وإخراجها في شكل واضح مؤثر لاسيما وأنها تحتاج إلي حواس أخري – العين – بخلاف اللفظ الذي يكفي فيه الأذن ولنقف قليلا مع مفهوم الصورة في النقد الأدبي الحديث والذي أعلي من قيمة الصورة ورفع مكانتها حتي جعلها أساس العمل الأدبي...

الصورة : مشهد من المشاهد يحدث في الذهن ؛ عند سماع أو رؤية شيء معين .

و الصورة الفنية : هي الوعاء القادر على توصيل المعنى و الوجدان إلى الملتقى ، و هي أعم من أن تكون حقيقة أو مجازاً ، و لا يلجأ إلى التعبير عن الصورة بالمجاز إلا عند العجز عن التعبير عنها بالحقيقة .

وهي تستمد وجودها من : المثير الذي يحرك الوجدان وينشط الخيال والخواطر .

والنقاد المحدثون يرى كل منهم رأيا في الصورة من وجهة نظره :

يرى الدكتور مصطفى ناصف : أن الصورة : تستعمل – عادة – للدلالة على ماله صله بالتعبير الحسي ، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري [1] ....."

ويلاحظ قصور التعريف عند الدكتور : مصطفى ناصف ؛ لأنه قصر مفهوم الصورة على الاستعارة فقط وأغفل بقية الأدوات التشكيلية الأخرى ؛ فلم تعد الاستعارة وحدها هي المعول عليها في تشكيل الصورة الفنية ؛ فقد تخلو الصورة الفنية من كل الوسائل البلاغية المعروفة ، وتعتمد على الحقيقة ويتمكن الأديب من إخراج

١- الصورة الأدبية . د: مصطفى ناصف ص ٣:٨ ط دار الأندلس : بيروت . الطبعة : الثالثة – سنة ١٩٨٣.

صورة فنية موحية ومعجبة معتمداً على قدرته الفنية في نسج الصورة والربط بين الألفاظ وتنسيقها تنسيقا فنيا جميلاً .

ويرى الدكتور : سعيد الورقى أن " الصورة هي وسيلة الأدب إلى التشخيص ، ولها طرائق عديدة منها التشبيه والاستعارة والمجاز و الرمز والأسطورة ... وغيرها من هذه الطرائق التي تمكن الأديب من أن يثير بألفاظه المختارة وصوره الجديدة كل ما يمكن إثارته في نفس القارئ من مشاعر وذكريات ؛ فلا يقتصر في أداء المعنى على مجرد سرده وبسطه بطريقه مستقيمة مباشرة [1] .

والدكتور : الورقى . يجعل الصورة نوعا من إكساب المعنى روحا وحسا وأحيانا تتحول المعنويات والمحسوسات إلى حياة نابضة متحركة فإذا توفر لها الحياة استطاعت أن تقنع المتلقي بكل ما تريد أن توصله له من طريق غير المباشر ! ؛ لأن المباشرة تذهب بالجمال . وإكساب المعنى الروح الحية من أهم مقومات الصورة الناجحة ! .

وما يؤخذ على الدكتور : الورقى أنه قصر طرق الصورة على الطرق البلاغية والمجاز والرمز والأسطورة !! وهو قصور منه في التعريف لأنه أهمل دور الحقيقة في أداء الصورة وهو دور يفوق المجاز فيها !! .

ويرى الدكتور محمد التونجى أن الصورة الفنية هي : " ما ترسمه مخيلة الأديب باستخدام اللفظ كما ترسمه ريشة الفنان باستخدام الألوان وتكون متأثرة بحالة الأديب النفسية ! إمّا بهيجة وإمّا كئيبة يبعثها الأديب من خاطره ، وذهنه فتجئ مادية محسوسة ، أو معنوية ذهنية..... [2] .

١- في الأدب و النقد الأدبي . د: سعيد الورقى : ص٥٩ ط. دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٩م.

٢- المعجم المفصل في الأدب . د: محمد التونجى . ٢٩١/٢ ط : دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة : الأولى . سنة ١٩٩٣.

وتعريف الدكتور التونجى – في ظني- أجمع تعريف للصورة لأنه جمع فيها إحساس الشاعر وحالته النفسية مع الشكل الخارجي وهو اللفظ كما ترسمه مخيلة الأديب ؛ وجمع تعريفه الحقيقة بقوله مادية محسوسة ، وجمع المجاز ...

ويرى الدكتور : عبد القادر القط : أن الصورة الفنية هي :" الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات ؛ بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة ، وإمكاناتها في الدلالة ، والتركيب والإيقاع ، والحقيقة ، والمجاز ، والترادف ، والتضاد ، والمقابلة ، والتجانس ... وغيرها من وسائل التعبير الفني "[1].

وتعريف الدكتور : عبد القادر القط : ينطبق على تعريف الصورة في النقد الحديث؛ فلم يقف بالصورة الفنية عند حدود القواعد البلاغية المعروفة ؛ بل تضمن تعريفه الحديث عن إمكانات اللغة وطاقاتها التصويرية ، ولم يغفل دور الإيقاع الموسيقى في تشكيل الصورة ، فالصورة – عنده – تستوعب كل الوسائل الفنية الممكنة والمتاحة[2] ... وإن كان تعريفه قد قصر الصورة علي الشعر فحسب وهذا ظلم لبقية الأنواع الأدبية وخصوصا النثر الأدبي وأنواعه والتي تؤدي في أحايين كثيرة ما لا يستطيع أن

١- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر . د. عبد القادر القط . ص ٣٩١ ط : دار النهضة العربية . بيروت . الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧.

٢ – النقد الغربي لا يختلف في تعريفه للصورة الفنية عن النقد العربي الحديث ؛ بل يكاد يتفق ا . وتأخذ أمثلة لتعريف النقاد الغربيين لمفهوم الصورة الفنية . و هذه التعريفات أوردها الدكتور : محمود الربيعي في كتابه :(في نقد الشعر)، فيرى جونسون : أن الشعر هو : "فن جمع المتعة إلى الحقيقة ا حيث يُدعى الخيال لمساعدة المنطق . وجوهره الابتكار " . ويعرفه ماكولاى :".... الفن الذي يصنع بالكلمات ما يصنعه الرسام بالألوان !!"و يعرفه جون ستيوارت مل :" ما الشعر غير الفكرة و الكلمات التي تحل العاطفة نفسها فيها بطريقة تلقائية ويراه راسكين : " إرساء وكائن نبيلة للعواطف النبيلة عن طريق الخيال! " ويعرفه ادجار آلان بو : " الخلق الموقع للجمال" ينظر : في نقد الشعر : نشر مكتبة الزهراء .القاهرة١٩٨٥ ص ٩،٨.

يؤديه الشعر مهما بلغ الشاعر من بلاغة!! وأيضا قصر الصورة علي الألفاظ والعبارات !! وترك أنواع أخري تذكي الصورة وتعلي جانبها ، كالإشارة وما تشمله مما سيأتي بيانه من خلال صفحات البحث .

ولنبدأ بصورة تبين الأثر القوي للإشارة في إبراز المعني وتكوين جزئيات الصورة ، وهي الصورة التي جاءت في كتاب الله تعالي وهو يتحدث عن موقف السيدة سارة (رضي الله عنها) زوج خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) وقد بشرها الملائكة بغلام بعد أن بلغت من العمر أرذله ، ومن السن أكبره، وقد يئست من الحمل ، وقنطت من رؤية الولد !!! ثم تأتيها البشري فجأة !! وعلي غير انتظار فأصابها الذهول الشديد!! ، والدهشة المفرطة!! ، وقد صور القران دهشتها فقال تعالي :" ... وبشروه بغلام عليم " فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم "[1]. والنظر لهذه الصورة الرائعة الأداء التي صورت دهشتها الشديدة فقامت بصك وجهها استغرابا لتحقق تلك الأمنية ، أو استحياء من أن تحمل في هذا السن !!، وقد عبر القرآن الكريم بهذا الفعل ، ليغذى هذه الصورة بذلك الفعل وهو صك الوجه وتخيل معي لو قلنا في غير كتاب الله تبارك و تعالى وأردنا أن نصور به مثل هذا الموقف ماذا يمكن أن نقول :" فدهشت فذهلت فاستغربت" وهل كانت هذه الكلمات – والتي عبرت عن الموقف ، ووضعت في اللغة لمثل هذه المعاني – ستؤدى ما أدته تلك الإشارة ؟ وهل كانت الصورة تتجلي بمثل هذه الروعة في تصوير الحدث ، وتؤدي في خيال المتلقي ما أدته هذه الإشارة .

وقد جعلت هذه الإشارة أقوال المفسرين (رحمهم الله)تتفاوت في بيانها فمن قائل : إنها (رضي الله عنها) لطمت خديها ومن قائل إنها ضربت علي جبينها وهذا

---

١ – سورة الذاريات آية ٢٨ ، ٢٩.

من تداعيات تلك الإشارة ولو عبر القران بلفظ – علي نحو ما ذكرنا – لكان غاية جهد المفسرين بيان معناه في اللغة ..

ولنستعرض أقوال بعض المفسرين في هذه الآية جاء في تفسير الجلالين : (فأقبلت امرأته) سارة (في صرة) صيحة حال أي جاءت صائحة (فصكت وجهها) لطمته (وقالت عجوز عقيم) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة!! وعمر إبراهيم مائة سنة. أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسع وتسعون سنة .

وذكر ابن كثير:" أي في صرخة عظيمة ورنة ، قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي وهي قولها "يا ويلتا" "فصكت وجهها" أي ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط. وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : لطمت أي تعجبا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب "وقالت عجوز عقيم" أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحيل؟ [1] .

وذكر البيضاوي :" فأقبلت امرأته " سارة إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم " في صرة " في صيحة من الصرير ، ومحله النصب على الحال أو المفعول إن أول فأقبلت بأخذت . " فصكت وجيهها " فلطمت بأطراف الأصابع جبهتها فعل المتعجب . وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء . " وقالت عجوز عقيم " أي : أنا عجوز فكيف ألد [2] .

وذكر الواحدي : " فأقبلت امرأته في صرة" أي : أخذت تصيح بشدة "فصكت" لطمت "وجهها وقالت": أنا "عجوز عقيم" فكيف ألد؟ !!

---

١ – تفسير ابن كثير ٤/٢٣٦ ط دار إحياء الكتب العربية

٢ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ص٦٩١ ط دار الجيل١٣٢٩هـ

وذكر البغوي :" فأقبلت امرأته في صرة "، أي: صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالاً من مكان إلى مكان ، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تولول كما قال: " قالت يا ويلتى [1] " فصكت وجهها " قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً، كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً ، وأصل الصك : ضرب الشيء بالشيء العريض . " وقالت عجوز عقيم " ، معناه : أتلد عجوز عقيم ؟ وكانت سارة لم تلد قبل ذلك .

وذكر الشوكاني : "فأقبلت امرأته في صرة" لم يكن هذا الإقبال من مكان إلى مكان، وإنما هو كقولك: أقبل يشتمني . أي : أخذ في شتمي ، كذا قال الفراء وغيره. والصرة الصيحة والضجة، وقيل الجماعة من الناس. قال الجوهري : الصرة: الضجة والصيحة ، والصرة: الجماعة ، والصرة الشدة من كرب أو غيره ، والمعنى : أنها أقبلت في صيحة ، أو في ضجة، أو في جماعة من الناس يستمعون كلام الملائكة .... وقوله : " في صرة " في محل نصب على الحال " فصكت وجهها " أي ضربت يدها على وجهها كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب. قال مقاتل والكلبي : جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً ، ومعنى الصك : ضرب الشيء بالشيء العريض ، يقال صكه : أي ضربه " وقالت عجوز عقيم " أي : كيف ألد وأنا عجوز عقيم ، استبعدت ذلك لكبر سنها ، ولكونها عقيماً لا تلد .

وذكر القرطبي : " فأقبلت امرأته في صرة " أي : في صيحة وضجة ، عن ابن عباس وغيره ، ومنه أخذ صرير الباب وهو صوته .وقال عكرمة و قتادة : إنها الرنة والتأوه ولم يكن هذا الإقبال من مكان إلى مكان . قال الفراء : وإنما هو كقولك أقبل يشتمني أي : أخذ في شتمي . وقيل : أقبلت في صرة أي جماعة من النساء تسمع كلام الملائكة . قال الجوهري : الصرة الضجة والصيحة ، والصرة الجماعة ، والصرة الشدة

١– (هود–٧٢).

من كرب وغيره ....، فلما سمعت سارة البشارة صكت وجهها ، أي ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب ، قاله سفيان الثوري وغيره . وقال ابن عباس : صكت وجهها لطمته . وأصل الصك الضرب ، صكه أي ضربه ... ، "وقالت عجوز عقيم " أي أتلد عجوز عقيم . وقال الزجاج: أي وقالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد كما قالت :" يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا ".

وقد شرح ابن جنى صورة مثل هذه الصورة لكنها في بيت من الشعر يقول : " ألا ترى إلى قوله :

تقول – وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس [1]

فلو قال حاكيا عنها : أبعلي هذا بالرحى المتقاعس من غير أن يذكر صك الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة لكنه لما حكى الحال فقال :" و صكت وجهها" علم بذلك قوة إنكارها و تعاظم الصورة لها ، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ، و لو شاهدها لكنت بها أعرف ، و لعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين . و قد قيل " ليس المخبر كالمعاين " و لو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله :" و صكت وجهها " لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر عندها ، و ليست كل حكاية تروى لنا و لا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال – التابعة

---

١ – وقائل هذا البيت هو: الهذلول بن كعب العنبري و قد تضمن حكاية قول زوجه و فعلها و هي مذهولة متعجبة من تقاعسه أمام الرحى ؟ أبعلي هذا الذي أراه متقاعسا أمام الرحى ؟! فيقول لها : لا تعجبي ولبئي أفعالي الحميدة من الباس و النجدة و الحمية في غمرة القتال و قد التفت الفوارس من حولي فأنا الذي أرد القرن فيخر صريعا لوجهه مطعونا بسنان ذي حدين فقال ردا على ما قالته و ما فعلته :

فقلت لها : لا تعجبي و تبيني فعالي إذا التفت على الفوارس
ألست أرد القرن يركب ردعه و فيه سنان ذو غرارين ناتس
لعمرو أبيك الخير : إني لخادم لضيفي و إني إن ركبت لفارس

وجاء في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام(١١٦،١١٧/٢) لهذه الأبيات :الاستفهام هنا إنكاري تعجبي وأداه منصب على بعلها و لذلك قدمته لهذا الغرض ، و لهذا فإنه قد رد عليها بأقوى ما يكون الرد فطلب منها ألا تتعجل في الحكم عليه بدنو المنزلة ، فإن منزلته مرتفعة بفعاله الحميدة في مقارعة الأبطال يوم النزال.

له المقترنة كانت به – نعم و لو نقلت غلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها [1] .

ولنأخذ صورة أخرى من حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ابن حوالة قال : وضع النبي (صلى الله عليه وسلم) يده على رأسي – أو قال هامتي – ثم قال :" يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل و الأمور العظام و الساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك [2] .

والإشارة باليد على رأس المخاطب جاءت للدلالة على القرب الشديد ، وهذا نوع كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستخدمه ؛ لأنه يشد السامعين إلى المتكلم ، و يقرّب للأذهان البعيد و يمثل المعنى المجرد بصورة حسية [3] .

إذ كأنك تتصور ما حدث و لازالت يده الشريفة على رأسه و هو يتكلم ، لماذا ؟ لأن وجودها جزء من تمام المعنى الذي سيأتى بعد ، و هذه هي البلاغة الحسية التي نتعلمها منه (صلى الله عليه و سلم) ، كما أنه (صلى الله عليه وسلم) استخدم اليد هنا لإتمام معلومة لابد منها ، إذ أن هذا فعل من يدرك ما في نفس صاحبه ، فقد كان (صلى الله عليه و سلم) ينفرد بقراءة ما في وجوه أصحابه ، و لعل نفس الصحابي استراحت كثيراً لهذا الفعل ، و لذا نجده يحكيها في الحديث مع أنه ليست من بيانه (صلى الله عليه وسلم) في شئ إلا أن إحساسه باطمئنانه معها جعله يقصها جزءاً من حديث النبي (صلى الله عليه و سلم) معه [4] .

---

١ – الخصائص لابن جنى ١/ ٢٤٥ ، ٢٤٦.
٢ – سنن أبي داود ٢/ ٢٠ كتاب الجهاد ، باب : في الرجل يغزو يلتمس الأجر و الغنيمة .
٣ – ينظر : عمدة القارئ ١٩ /٥١ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ص ١١٢ ، البلاغة النبوية في أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) عن المقدسات الإسلامية من خلال كتب الصحاح الستة ص ٤٨١.
٤ – البلاغة النبوية في أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) عن المقدسات الإسلامية من خلال كتب الصحاح الستة ص ٤٨١ ، ٤٨٢.

ولنري صورة أخري بطريقة إشارية متغايرة : عن بريدة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" هل تدرون ما مثل هذه وهذه ،ورمى بحصاتين ،قالوا :الله ورسوله أعلم . قال : هذاك الأمل ، وهذا الأجل "

الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث قريب من أصحابه يسألهم ، ولما كان الغرض من السؤال أن يعلّمهم والمعلم مقرّب ومقرر،فهو يتخذ الوسائل الإيضاحية كي يصل إلى قلوب من يعلمهم ولذا فلا عجب أن يستخدم الإشارة مع القول إيمانا منه بأهمية وسيلة الإيضاح في تعميق الفكرة ،وترسيخها في النفس ، فبدا حديثه بهذا الاستفهام مصحوبا بعمل حسي مشاهد " هل تدرون ما مثل هذه وهذه " والسؤال بها عن مجهول إنما هو مقتبس على المميز المعلوم ،" ورمى بحصاتين " حصاتين رمى بإحداهما قريبا وبالأخرى بعيدا إنها وسيلة إيضاح حسية واضحة جذبت أنظار الصحابة إلى فعله (صلى الله عليه وسلم) تلاها السؤال عن الممثل المجهول زيادة في التشويق إلى طلبه و معرفته،هل ينسى الصحابي الشاهد مكان الحصاتين قربا وبعداً ، والسامع مع سؤال النبي (صلى الله عليه وسلم) ،هل ينسى أن المشبه بالحصاة القريبة هو الأجل في قربه ،و بالحصاة البعيدة هو الأمل في بعده ، كلا ؛ لأن الإشارة إذا كانت في محلها أعانت على الفهم ، فالناظر يرى الإشارة و يسمع العبارة ،وينظر الحصاة ، ولاشك أن اشتراك أكثر من حاسة يساعد على المتابعة ،ويوقظ الفكر ، ويعين على التدبر ،ويجذب الانتباه [١] .

وهذا المشهد الذي وصل إلينا بهذه الصورة الرائعة التي ملأت كل فراغ فيها بالكلمة وبالفعل بل باستخدام وسيلة خارجية (الحصى) رسخ في أذهاننا ما يريد النبي أن يصل من معاني وما كان لأي لفظ أن يؤدي هذه المعاني بغير مساعدة تلك الإشارة .

١- من شرح الدكتور / عبد محمد شايك في برنامج / بلاغة الرسول الذي يقدمه د / عبد الله الجوفي إذاعة القران الكريم .

المبحث الرابع

الإشارة و الخيال

يهتم أهل الأدب بالخيال ويعلون من قيمته في الأعمال الأدبية ويبحثون عنه ويعطون الأديب قيمة بقدر قوة تأثير خياله الأدبي علي أعماله وبالتالي علي المتلقين ونحب هنا أن نبين دور الإشارة في إذكاء الخيال وإظهاره متوهجاً متقدا ولنبدأ ببذة بسيطة عن الخيال عند الأدباء فنقول :

الخيال هو الذي يهب العمل الأدبي رشاقته ، ويفرق بينه ، وبين غيره من الأعمال غير الأدبية ، إنه لمسة الفنان بروحه الحساس المنطلق ، حين يتناول المعاني تناولا فنيا ملموسا ، ويسمو بها على أجنحة الخيال الرفرافة إلى معارجه الفنية المبدعة ، ويصعد بها على رفيف تشبيهاته ومجازاته ، وكناياته إلى مرافئه الجنحة العصماء ، فيعرضها في أحسن صورة ، ويلبسها فاتن شفوفه ، ويخلع عليها صوره الحالية الموشاة [١] . فلاشك في أن " الصورة الرائعة ، والخيال المبدع لهما عظيم الأثر في تقدير العمل الأدبي ، وفي الحكم عليه ، وكلما كانت الصور على جانب من الإتقان ، والدقة ، وسيقت من خلال شعور صادق كانت جيدة [٢] والصورة الجيدة تكشف عن مقدرة الشاعر على تخيل المرئيات ، ووصف الوجدانيات التي تجعله ينال مطلبه ، ويصل إلى بغيته [٣] ويجب على الشاعر أن يخدم بتصويره البياني الصورة الكلية ، حتى لا تفقد الصورة الجزئية قيمتها التي حيكت من أجله [٤] . والخيال إذا من أهم أدوات الأديب الموفق ، وهو الذي يرى الأشياء و الأحداث ، ويدرك ما فيها من أسباب الروعة أو الإشفاق ، ثم يعرضها علينا كأنها حقيقة ملموسة ، وهو إذ يعرضها علينا "

---

١ – مناهج البحث الأدبي د. سعد ظلام. ص١٥٧ مكتبة نهضة الشرق ١٩٩٦.
٢ – الصورة الأدبية. د. مصطفى ناصف ص ٢٦٣ مكتبة نهضة مصر ١٩٥٨م
٣– الموازنة بين الشعراء .د. زكي مبارك : دار الكتاب العربي للطباعة و النشر القاهرة سنة ١٩٣٩
٤– التفسير النفسي للأدب د. عز الدين إسماعيل : ط دار المعارف سنة ١٩٦٣م

لا يكتفي – غالبا– بعرضها صامتة ، بل مفسرة مصورة أو مجسمة عسى أن تدرك أسرارها فيشملنا الإعجاب أو الرحمة أو الإشفاق [١] والخيال لابد أن يكون في تصوير الحقائق ، وليس في الحقائق " ولا يخفى أن هناك فرقا بين الخيال في الحقائق وهذا ما ينبغي الحذر منه ، وبين الخيال في تصويرها ، وهو الخيال الفعال المنتج الذي يقوى الحقيقة ويثريها [٢] ..

ثم نري أثر الإشارة في تحريك الخيال وإذكائه في تطبيق عملي علي الأصل الثاني الذي اعتمدناه في بيان قوة الإشارة

وهو الحديث النبوي ومنه ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : كافل اليتيم له ولغيره أنا وهو كهاتين في الجنة . وأشار مالك بالسبابة والوسطى [٣] .

وتخيل معي أي لفظ يمكن أن نفكر فيه يؤدى ما أدته تلك الإشارة من معنى ؟!! ، ولو وجد هذا اللفظ هل سيترك هذا المجال الخصب ، وذاك الرحب الواسع ، لخيال كل متلق لهذا الحديث؟!! ؛ حيث جعلت هذه الإشارة :

متلقيا يفكر في معنى الالتصاق الشديد برسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما هو حال التصاق السبابة بالوسطى ، وآخر يفكر في دوام الصحبة واستمرارها مع الحبيب (صلى الله عليه وسلم) لما بين السبابة والوسطى من المعية والتي هي بأصل الخلق، وجعلت ثالثا يفكر بوحدة الدرجة بين كافل اليتيم ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما بين السبابة والوسطى من الاتفاق في درجة الأهمية والقيمة فكلاهما إصبعان لكف واحدة، ورابعا يفكر بشمول النعيم ؛ فالنعيم الذي يتمتع به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشمل أيضا كافل اليتيم .

---

١ – أصول النقد الأدبي .أحمد الشايب ص ٢١١مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣.

٢ – البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي د. على على صبح : ١٩٤. مطبعة الأمانة الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦ م.

٣ – رواه مسلم :٢٩٨٣ .

وخامسا يفكر في حسن الجوار فمع طول جوار السبابة للوسطى وهو يستغرق الحياة كلها لم يبغ أحدهما على صاحبه أو يؤذيه ولأهمية الجوار فكل الناس يبحث عن جار حسن في الدنيا والآخرة لذا يعد النبي كافل اليتيم بأحسن جوار في الجنة وهو جوار الحبيب محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وسادسا يفكر في ذلك كله !! ، وسابعا يفكر في معنى آخر مغايرا لما سبق كله ... !!

هذا الثراء الفكري الذي لحق معنى هذا الحديث جاءت به تلك الإشارة التي قالها (فعلها) النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم ابحث – إن شئت – عن أي لفظة أو عبارة تؤدى كل هذه المعاني بل وتترك المجال مفتوحا لكل عقل وخيال أن يأتي بما شاء من معاني تصلح في هذا المقام .

ومن الإشارات الأدبية الراقية ، والتي أغنت عن عبارات كثيرة ، وأدت ما يعجز عن أدائه لفظ كثير ، وفتحت الطريق واسعا لكل خيال في أن يحلق كيف شاء في دنيا المعاني ، ما رواه عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال : اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غشية . فقال : أقد قضى ؟ قالوا لا يا رسول الله .فبكى فلما رأى القوم بكاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكوا ،فقال : ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا "وأشار إلى لسانه" أو يرحم [١] . صدق رسول الله (صلي الله عليه وسلم) .

وانظر إلي قيمة الإشارة هاهنا إلي اللسان و التي أدت إلي شمول كل المعاني والأفعال والحركات التي يمكن أن يأتي بها اللسان من صراخ وعويل وكلام يؤدي إلي الاعتراض أو يفهم منه عدم الرضي ...ثم انظر إلى التأكيد الشديد الذي يفهم من تلك الإشارة ولو قيل :" ولكن يعذب باللسان أو يرحم" .هل كانت هذه العبارة تقع

١– البخاري ٣٣/٢، مسلم ١٧٨.

نفس الموقع بالنسبة للمخاطبين . ثم انظر إلي فعل الرواة الذين حرصوا على توصيل الإشارة كما أخذوها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لشدة فهمهم لقيمتها وبلاغة أدائها

وتحت هذا تندرج أحاديث كثيرة منها: ما روى أن معاذ بن جبل قال : يا رسول الله أوصني قال : اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار إلى لسانه [1] . صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

فمعاذ سأل الوصية من رسول الله وهو- في هذا - في أشد حالات الانتباه ؛ لأهمية الوصية من جانب ، ولشرف من يوصى من جانب آخر ، ولقيمة الوصية في مستقبل حياته وتأثيرها علي مجرياتها من جانب ثالث ، فأجابه النبي (صلى الله عليه وسلم) بما أراد ثم أثار انتباهه أكثر عندما سأله النبي (صلى الله عليه وسلم) وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك..؟ فتضاعف الاهتمام ، وازداد الترقب ، ولاح في الخيال انتظار وصية كبرى تناسب هذا الترقب!! فكانت الإجابة علي غير ما هو متوقع إنها إشارة !! نعم الإجابة إشارة لكنها أبلغ من العبارة ! فقد أشار النبي إلى اللسان لخطورته ، وشدة أثره ، مع تهاون الناس كثيرا في الحفاظ عليه ، وتقليلهم من شأن ما يصدر عنه لاسيما في المواقف العادية التي لا يترتب عليها عقاب دنيوي ؛ لذا كانت الإشارة هاهنا بمثابة التنبيه لهذا العضو وأهميته الخطيرة .

وبهذه الإشارة وما يماثلها مما يصدر عن النبي من إشارات تقوم مقام الشهادة لقوة الإشارة وأهميتها للصورة الذهنية وقيمتها للخيال وأنها من أعلي مراتب البلاغة ! .

١- أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني ورجاله ثقات وفيه انقطاع . ينظر إحياء علوم الدين : ١٣٦/٢ .

ومن ذلك ما رواه سيدنا عبد الله بن عباس أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال : " أمرت أن أسجد علي سبعة أعظم ؛ الجبهة ، وأشار بيده علي أنفه واليدين والرجلين وأطراف القدمين ولا تكفت الثياب والشعر [1] .

والحديث لم يذكر لفظ الأنف وإن كان أشير إليه باليد ذلك لأن الأصل في الرأس الجبهة فالمسجود عليها هو الفرض ويتبع ذلك الأنف .

والإشارة هنا أثبتت الحكم بقوة كالعبارة بل ربما أكثر لأنه (صلي الله عليه وسلم) أتي لها بدلالة مخالفة وكان من الممكن أن يذكرها كأعضاء السجود لكن لما أشار إليها أثبت الحكم ، وبين السجود ، بقوة شديدة !!

ولذا رأينا البخاري (رحمه الله) يضع عنوانا لهذا الحديث ويسميه : (باب السجود على الأنف والطين) .

وقد علق ابن حجر (رحمه الله تعالى) على عنوان البخاري فقال : كأن البخاري يشير إلى تأكد أمر السجود على الأنف بأنه لم يترك مع وجود عذر الطين الذي أثر فيه ، ولا حجة فيه لمن استدل به على جواز الإكفاء بالأنف لأنه في سياقه أنه سجد على جبهته وأرنبته ، فوضح أنه إنما قصد بالترجمة ما قدمناه ، وهو دال على وجوب السجود عليهما ، ولولا ذلك لصانهما عن لوث الطين [2] ...

---

١ - فتح الباري ٣٤٨/٢ .
٢- فتح الباري : ٣٤٨/٢ .

المبحث الخامس

الإشارة تشمل

كل ما يصدر من الإنسان من الحركات والإيماءات سواء أكانت بالرأس أو باليد أو العين أو بأي جارحة أخرى أو بالجسم كله أو بعضه، بل والانفعالات إذا فهم عنها شيء وقد كانت الإشارة بهذا المفهوم من أهم أدوات الإفهام في لغة العرب .

وقد تكلم الجاحظ عن الإشارة فقال : " فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب [١] ... بل وسع الجاحظ من مفهوم الإشارة وجعلها تشمل الأدوات التي يستعملها المتكلم يقول : فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها رفع الحواجب وكسر الأجفان ولي الشفاه ، و تحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوي بثوب علي مقطع حبل تجاه عين الناظر [٢] ..." وأيضا يقول "... ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم و أعناقهم و حواجبهم فإذا أشاورا بالعصي فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أخر ... كما يذكر أن حمل العصا والمخصرة دليل علي التأهب للخطبة والتهيؤ للإطناب والإطالة [٣] .

فظاهرة التعبير بأعضاء الجسم كانت أصيلة في نفوس العرب ومتأصلة في كلامهم وليس أدل علي ذلك من هذه الألفاظ التي اصطلحت عليها وسجلتها لنا مصادر اللغة والأدب لوصف وتصوير هذه الظاهرة من مثل الإشارة والرمز والإيماء والومض والوحي .

وبعد الذي ذكرناه نستطيع أن نقول : إن الإشارة التي نتحدث عنها تشمل:

---

١ – البيان و التبين للجاحظ ١/٧٧،٧٨.ط دار الكتب العلمية بيروت.

٢– الحيوان للجاحظ ١/٣٩.تح:فوزي عطوي ط.دار صعب بيروت ١٩٨٢م.

٣– البيان و التبين ٣/١١٧،١١٦.

حركات اليد وأهمها الإشارة :

وحركات اليد من أهم صور التعبير عند العرب وقد جاء ذلك كثيرا في كتاب الله فقد صور حركات اليد في صور متعددة منها حركات الأصابع وإدخالها في الآذان عند الرعب كما قال تعالى " يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت [١] ، ومنها عض الأنامل إما غيظا في الدنيا كما قال تعالى "وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور [٢] ، وإما ندما في الآخرة كما قال تعالى "ويوم يعض الظالم علي يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا [٣] ومنها بسط اليد دلالة علي الإسراف أو غلها دلالة علي البخل الشديد كما قال تعالى "ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط [٤] كما أن وضعها علي الأفواه دلالة علي رفض الهدي والإصرار علي الغي وذلك عند فعل هذا في الرد علي داعي الهدي كما قال تعالى " ألم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب [٥] .

ويعتبر لفظ أو مصطلح الإشارة ، من أكثر الألفاظ استعمالا للتعبير عن التواصل الجسمي ، ينص المعجم علي أن الإشارة هي الإيماء و يكون ذلك بالكف والعين و الحاجب ، تقول : أشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيده أو عينه أو حاجبه . كما تقول شور إليه يشور تشويرا أي أومأ إليه .

١– البقرة :١٩

٢ – آل عمران :١١٩

٣ – الفرقان :٢٧.

٤ – الإسراء :٢٩

٥ – إبراهيم :٩ .

الرمـــز :

ينص الصحاح علي أن لفظ الرمز يعني الإشارة و الإيماء بالشفتين و الحاجب ، كما ينص لسان العرب علي أن اللفظ يعني تحريك الشفتين بالكلام دون الجهر بالصوت ، و ينص تاج العروس علي أن الرمز هو الصوت الخفي و الإشارة بالشفة والغمز بالحاجب تقول رمز إليه كلمة رمزا أي بشفتيه و حاجبيه ،كما يشير لسان العرب أيضا إلي أن الرمز يعني أيضا الإشارة إلي كل بيان باللفظ و الشفة و العين والحاجب و اليد [١] .

يقول ابن رشيق : وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار الإشارة وقال الفراء: الرمز بالشفتين خاصة [٢] .

وقد جاء الرمز كوسيلة للتعبير والتواصل في كتاب الله تعالى وذلك في قوله تعالى : "قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا [٣] .

الإيمـــاء :

ينص المعجم علي أن الإيماء يعني الإشارة بأعضاء الجسم مثل الرأس و الكف و العين و الحاجب ، تقول أومأ إليه يومئ إيماء ، و ومأ يمأ ومئا أي أشار ، قال العرجي [٤] :

أومت بكفيها من الهودج لولاك هذا العام لم أحجج

وقال آخر :

فقلت السلام فاتقت من أسيرها فما كان إلا مؤها بالحواجب

١- الصحاح ، اللسان ، التاج (رمز).
٢ - العمدة ٣١٢/١ .
٣- آل عمران :٤١.
٤ - شرح ديوان أبو تمام التبريزي ٣٠٠/١.

قد نجد الإيماء هنا يرتبط بإشارة الرأس خاصة ، قال الليث :" تقول العرب أومأ برأسه أي قال لا ، قال ذو الرمة [١] :

قياما ما تذب البق عن ذخراتها بهز كإيماء الرؤوس الموانع

جاء في الحديث : أنه – صلي الله عليه و سلم – كان يصلي علي حمار يومئ إيماء ، يقول ابن الأثير : الإيماء الإشارة بالأعضاء و إنما يريد هنا الرأس [٢] ومن ذلك ما ينقله لنا أبو حيان التوحيدي في البصائر عندما دخل رجل علي بعض العلماء فأومأ إلي موضع يجلس فيه فعدل عنه إلي جهة أخري فقال له اجلس حيث أجلستك فإني أعلم بعوار منزلي [٣] .

كما نجد المعجم يفرق بين الإيماء و الإيماء ، فيعني اللفظ الأول الإشارة لمن أمامك بإصبعك تأمره بالإقبال ، و يعني اللفظ الثاني الإشارة لمن خلفك بإصبعك مفتوحة خلف ظهرك تأمره بالتأخر عنك ، قال الفرزدق [٤] :

تري الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وأن نحن أومأنا إلي الناس وقفوا

اللمحة :

ومن الإشارات اللمحة، كقول أبي نواس يصف يوماً مطيراً:

وشمسه حرة مخدرة ليس لها في سمائها نور

الآخر:

جعلت يدي وشاحاً له وبعض القوارس لا يعتنق

---

١ – اللسان :ومأ.وفي ديوان ذي الرمة هكذا :
صياما تذبّ البق عن غرائها بنهز كإيماء الرؤوس الموانع
صياما يعني قياما،الغرة :طرف الأنف أو مقدمه.النهز:التحريك
ص:١٦٧ قدم له أحمد حسن بسج ط.دار الكتب العلمية بيروت.
٢ – النهاية ٨١/١.
٣ – البصائر و الذخائر ٥٧٤/٣.
٤– اللسان : وما .

قال إبراهيم بالما ل كذا غرباً وشرقا

ولم يأت بها أبو نواس حشواً، ولكن شطارة وعبثاً بالكلام، وإن شئت قلت بياناً وتثقيفاً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص:

" وكيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس، وقد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا؟ وشبك بين أصابع يديه"، ولا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبعد كلاماً منه من الحشو والتكلف [1].

اللحن أو الوحي :

وهو كما ذكره ابن أبي الإصبع :" ومن الإشارة نوع يقال له اللحن والوحي، وهو يجمع العبارة والإشارة ببعد لا يفهم طريقه إلا ذو فهم، كما قال القتال الكلابي (الكامل) :

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحناً ليس بالمرتاب

ومثال ذلك ما حكى عن رجل من بلعنبر، أسر في بكر بن وائل (بني حنظلة) وفهم عنهم أنهم يقصدون الغارة على قومه بني العنبر فقال لبني حنظلة إن لي حاجة عند أهلي وأريد رسولا من قومكم أرسله فيها فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يخاطبه في حاجته بحضورهم فأحضروا له رجلا في الليل وقد أوقدت العرب نيرانها، فأقبل على الذي أتوه به وقال له: أتعقل؟ قال: إني لعاقل !.فقال: انظر إلى السماء ونجومها ؟ فنظر، ثم قال: انظر إلى نيران العرب؟ فنظر فقال له :ما أكثر نجوم السماء أو نيران العرب ؟ فقال : إن كلا منها لكثير! قال: إنك إذا لعاقل ، ثم دفع إليه حنظلة صرة فيها رمل وصرة فيها شوك ، وقال :اذهب إلى قومي فادفع إليهم هذه الحنظلة وهاتين الصرتين، وقل لهم يعروا ناقتي الحمراء ويرحلوا جملي الأورق وسلوا أخي الأعور بخيركم الخبر!. فقال: الحاضرون : ليس في هذا ما تنكر اذهب في حاجته ، فذهب إلى

١ - العمدة ١/٢٢١.

بني العنبر ودفع اليهم ذلك وقص عليهم القصة ورجع فبعث القوم إلى أخيه الأعور فحضر فأخبروه الخبر، فقال: إنه يقول أتاكم بنو حنظلة في عد الشوك والرمل وإن نيران العرب تعادل نجوم السماء ، ويأمركم أن ترحلوا عن الدهناء وانزلوا مكان كذا ففعلوا ورحلوا لوقتهم، فصبحهم بنو حنظلة فلم يدركوا منهم أحدا. !!

اللمع :

يعني اللفظ أو الإشارة الخفيفة أو السريعة ، و هو مأخوذ من قولهم لمع الشئ لمعانا برق وأضاء ، و لمع الطائر بجناحيه يلمع و ألمع بهما حركاهما في طيرانه و خفق بهما ، و من ذلك قولهم أسرع من لمع الأصم لأن الصم يكتفي بالإشارة بلمعة خفيفة حتى يفهم عنه ، قال بشر بن خازم [1] :

أشار بهم لمع الأصم فأقبلوا راتين لا يأتيه للنصر محلب

قال ابن الأعرابي : معنى قوله لمع الأصم : أي كما يلمع الأصم بإصبعه إذا أشار بها لأنه يتوهم غيره أيضا لأنه لا يسمع ، جاء في حديث زينب : رآها تلمع من وراء الحجاب أي تشير بيدها [2].

اللمع أيضا الإشارة بالشئ تقول لمع الرجل بثوبه و سيفه أي أشار بهما قال الأعشى [3] :

حتى إذا لمع الدليل بثوبه سقيت وصب رواقها أو شاقها

الومض :

يعني : اللفظ والإشارة الخفيفة مثل الوحي ، و هو مأخوذ من قولهم أومض البرق وومض إيماضا ووميضا إذ لمع لمعانا خفيا و لم يعترض [4].

١- اللسان : لمع ، حلب

٢ - النهاية :٤/٢٧٦.

٣- اللسان لمع الدرة الفاخرة ١/ ٢٢٣.

٤- اللسان : ومض.

جاء في الحديث هلا أومضت إلي يا رسول الله [١] ، ومن ذلك قول عمر ابن أبي ربيعة [٢] :

ولما التقينا بالثنية أومضت مخافة عين الكاشح المتنمم

و من ذلك أيضا قول بعضهم لزائر له رآه يومئ إلي امرأته [٣] :

لا أحب النديم يومض بالعين إذا خلا بعرس النديم

حركات العين :

وقد جاء في القران عن أداء العين للمعاني آيات كثيرة منها قوله تعالي" فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت [٤] وهو تعبير عن الخوف القاتل من المنافقين والذي تفضحه عيونهم وهناك موقف مشابه لهذا وهو قوله تعالي" فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت [٥] .

وحركات العين من أهم الإشارات التي تفهم معاني كثيرة ، وقد بين رب العزة تبارك وتعالى لنا علمه المحيط ، بأنه الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فقال تعالى : "يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور [٦] فكان من كمال علم الله تبارك و تعالى أنه يعلم ما تفهمه العين و تؤديه من معاني ...

وقد حمل التراث لنا أمثلة كثيرة كانت العناية فيها بإشارة العين ، ولعل السر في ذلك أن العين هي أسرع الأعضاء حركة ، والأكثر دلالة ، فقد نقل الثعالبي في فقه

١- النهاية ٥ / ٢٣٠.
٢ - الديوان ١٨٠
٣ - البيان ٢/٣٤٧.
٤ - الأحزاب :١٩ .
٥ - محمد :٢٠ .
٦ - غافر : ١٩ .

اللغة عن كيفية النظر و هيئاته في اختلاف أحواله " يقول : " إذا نظر الإنسان إلى الشئ بمجامع عينه قيل : رَمَقَهُ . فإن نظر إليه من جانب أذنه قيل: لَحَظَه . فإن نظر إليه عَجَلَة قيل : لَمَحَه . فإن رماه ببصره مع حدّة نظرٍ قيل : حَدَجه بطَرْفه . فإن نظر إليه بشدّةٍ وحدّةٍ قيل : أرْشَفَه و أسَفَّ النظر إليه فإن نظر إليه نظر التعجب منه وإنكاره له والمبغض اياه قيل : شَفَنه وشَفَن عليه .. فإن أعاره لَحْظَ العداوة قيل : نَظَرَ إليه شزْراً .. فإن نظر إليه نظر المستثبت قيل : توضّحه ، فإن نظر واضعاً يده على حاجبه مستظلاً بها من الشمس ليستبين المنظور إليه قيل : استكَفَه ، واستوضحه ، واستشرفه [١] ...

ونقل ابن حزم "رحمه الله " في كتابه (طوق الحمامة) ما تعارف عليه الناس في بيئته من إشارات العين ، وعقد لذلك باباً اسمه : باب الإشارة بالعين . قال فيه : " ثم يتلو التعريض بالقبول – إذا وقع القبول والموافقة – الإشارة بلحظ العين ، وإنه ليقوم في هذا المعنى المقام المحمود ، ويبلغ المبلغ العجيب ، ويقطع به ويواصل ، ويوعد ويهدد، ويقبض ويبسط ، ويؤمر وينهى ، وتضرب به الوعود ، وينبه على الرقيب ، ويضحك ويحزن ، ويسأل ويجاب ويمنع ويعطى ، ولكل واحد من هذه المعاني ضرب من هيئة اللحظ ، لا يوقف على تحديده إلا بالرؤية .. وأنا واصف ما تيسر من هذه المعاني فالإشارة بمؤخر العين الواحدة : نهي عن الأمر وتفتيرها : إعلام بالقبول وإدامة نظرها : دليل على التوجع والأسف وكسر نظرها : آية الفرح والإشارة إلى إطباقها : دليل على التهديد وقلب الحدقة إلى جهة ما ، ثم صرفها بسرعة : تنبيه على مشار إليه والإشارة الخلقية بمؤخر العين : سؤال وقلب الحدقة من وسط العين إلى المؤق بسرعة :

١- فقه اللغة و سر العربية صـ ٩٧ : ٩٨ . و ينظر : المعجم العربي بحوث في المادة و المنهج و التطبيق د . رياض زكي قاسم ص ٢٣٧ .

شاهد المنع وترسيد الحدقتين من وسط العينين : فهي عام وسائر ذلك لا يدرك إلا بالمشاهدة ثم يقول : والحواس الأربع أبواب إلى القلب ...والعين أبلغها [١]

وقيام العين بدور اللفظ وأداء المعاني أمر ثابت لاشك فيه وقد جاء ذلك كثيرا ومنه قول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

أيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم [٢]

وقال آخر :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها وتعرف عيني ما به الوحي يرجع

وقال ثالث :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغضاً إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا [٣]

إن كل هذه الشواهد دامغة على أن للعين بحركاتها لغة معروفة بين الناس ، وإن لم يكن لها قواعد ، أو مفردات ، ولكن يبقى الأهم وهو أنها لغة مفهومة .

حركات الوجه و هيئته :

الوجه له تقلبات واتجاهات وإشارات تعبر عما في ضمير صاحبه وتكشف عن حالته النفسية وهو أشرف عضو في الإنسان وبه يتوجه المرء إلي خالقه داعيا متضرعا ولذلك جاء استعمال القرآن للوجه للدلالة علي الذات في كثير من المواضع منها:

---

١ - طوق الحمامة في الألفة والآلاف :١٠٥ .

٢ - القائل هو :عمر بن أبي ربيعة.

٣ - ذكر ابن الأعرابي في (مجمع الحكم والأمثال) أن هذه الأبيات للحيص بيص .

قوله تعالي : "إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا [١]

وقوله تعالي :

" اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم [٢] وقوله تعالي : " ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام [٣] وقوله تعالي :" فأقم وجهك للدين حنيفا [٤] وقوله تعالي : " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه [٥] .

ويقوم الوجه من خلال حركاته و هيئته بإفهام معان كثيرة يعرفها المخاطبون كما يعرفونها لو تلفظ بها صاحبها فمثلا : احمرار الوجه أو اصفراره ندرك من خلاله خجل صاحبه أو خوفه والابتسام أو العبوس نفهم منهما سعادة ورضا الشخص أو حزنه وغضبه ، وتقطيب ما بين الحاجبين يعني الغضب وزم الشفتين يعني الدهشة أو الاستغراب وفي السيرة النبوية ما يوضح أثر هيئة الوجه في فهم المخاطبين ومعرفتهم لحال من يكلمهم فقد جاء عنه – صلي الله عليه و سلم – أنه إذا غضب عرف ذلك في وجهه _ و إن لم يقل ذلك _ و أيضا كان إذا فرح أو سر أسفر وجهه ؛ مما يعضد قيمة الوجه أيضا في عملية أداء المعاني و الإفهام .

ومما ورد من ذلك في كتاب الله قوله تعالي : " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة [٦] وأيضا قوله تعالي : " وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة [٧] "فالوجه هاهنا هو

---

١ - الأنعام :٧٩ .

٢ - يوسف :٩ .

٣- الرحمن :٢٧ .

٤- الروم :٣٠ .

٥ - البقرة :١١٢ .

٦- عبس :٣٨ .

٧ - القيامة:٢٢،٢٤ .

الذي عبر عن الفرح والسعادة وأيضا هو الذي عبر بين الحزن والشقاوة والوجه أيضا يستعمل للتعبير عن الرغبة الشديدة كما قال تعالى " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنوليك قبلة ترضاها [١] .

وقد وضح لنا رب العزة تبارك وتعالى أن الوجه بحركاته يؤدى معانيا ، تفهم وتؤثر في المشاهدين ، بل تؤدى إلى حمل ذنوب وأوزار كما تفعل الألفاظ فنهى تبارك وتعالى : " ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا [٢] فتصعير الخد كبر وتعال على الناس يؤذى المشاعر ويجرح الأحاسيس وترفضه النفوس الحرة وتأباه الفطر السليمة، والتصعير كفعل هو نوع من الإشارة وليس قولا ولا كلاما وكما بين القرآن وجاء فيه مواقف كثيرة أدى فيها الوجه معاني كثيرة ومتباينة... و قد جاء أيضا ذلك في الشعر :

لي من محبته شهود أربع ... وشهود كل قضية اثنان

خفقان قلبي و ارتعاد مفاصلي ... وصفار لوني و اعتقال لساني

و قول الآخر:

إشارة أفواه وغمز حواجب ... وتكسير أجفان وكف يسلم

وألسنتنا معقودة عن شكاتنا ... وأبصارنا عنها الصبابات تفهم [٣]

حركات الرأس :

وفى القرآن الكريم أوصاف للرأس من حيث حركتها ، و هيئة هذه الحركة تعبر عن معان كثيرة توضحها وتفهم من خلال الآيات : قال تعالى :"مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم [٤] وقد سبقتها آية أخرى توضح معني هذه الآية وهي

١- البقرة :١٤٤ .

٢ - لقمان :١٨ .

٣- نسبها صاحب الأغاني لأبي دهبل الجمحي .

٤ - سورة إبراهيم آية : ٤٣ .

قوله تعالى :" و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار " وهو مشهد حركي من مشاهد يوم القيامة يبرزه لنا المولى عز وجل في صورة حسية مشاهدة كأننا نراها بعيوننا ، وهي حركات متوالية تتمثل في : شخوص الأبصار اي أن أبصارهم أي أعينهم تظل مفتوحة و لا تغمض من هول ما ترى ، لأنها مبهوتة مذهولة لا تلتفت إلى أي شئ ، فهذا التعبير كناية عن الدهشة و الذهول .

وجاءت أيضا في موقف آخر علامة علي الاستهزاء أو الإنكار أو التعجب وذلك في قوله تعالي : " فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متي هو قل عسي أن يكون قريبا [١] .

وقد أدت الإشارة هنا ما تؤديه العبارة وزيادة وهي حركات تلقائية تبين ما في النفوس ، وجاءت حركة الرأس لتدل علي الصدود والإعراض وتفضح سرائر المنافقين وما تنطوي عليه من حقد وغل علي الدعوة ورسولها (صلي الله عليه وسلم) وذلك في قوله تعالى : " وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون و هم مستكبرون [٢] وقد نزلت هذه الآية في شأن المنافقين عندما كشف الله عن ضمائرهم و ما تنطوي عليه نفوسهم من كذب وخداع ... وقد فضحهم الله لرسوله فطلب أهلهم منهم أن يتوبوا ويذهبوا للرسول يطلبوا منه أن يستغفر لهم فكان ردهم بالصد والإعراض والاستكبار وفعلوا ذلك بهذه الحركات وأشهرها لوي الرأس فهم لم يصرحوا بالقول ...

حركات الجسم :

وقد تؤدى حركات الجسم في عملية الإفهام ما يؤديه الكلام وزيادة وجاء ذلك في كتاب الله كثيرا من ذلك قوله تعالي : " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم

١- الإسراء :٥١ .يقال نغض الشئ ينغض نغضا ونغوضا وتنغض :تحرك واضطرب.

٢ - سورة المنافقون آية ٥ .

ولا هدي ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله [١] وعطف الرجل منكب وعطفه جانباه من لدن رأسه إلي وركه والجمع أعطاف فالكافر في وقت المجادلة يلوي عطفة تكبرا وإعراضا "فالتعبير يرسم صورة لهذا الصنف من الناس صورة فيها الكبر المتعجرف ثاني عطفه مائلا مزورا بجنبه فهو لا يستند إلي حق فيعرض عن هذا بالعجرفة والكبر ليضل عن سبيل الله فلا يكتفي بضلال نفسه بل يضل غيره بحمله علي الضلال [٢].

ومنها قوله تعالى : " وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه [٣] فهذا الفعل الذي قام به الإنسان في مقابل نعم الله عليه أفهمنا وأظهر لنا مدى جحوده ونكرانه وكفره بنعم الله التي يتقلب فيها ليل نهار _ ولأن مباحث البحث تؤدى جميعها لشيء واحد وهو قيمة الإشارة فهي تتداخل أحيانا _ فهذه الآية مثلا دللت لنا وأفهمتنا قيمة حركة الجسم في أداء المعاني من ناحية ، ومن ناحية أخرى تدل على رقى لغة الإشارة وحسن أدائها للمعاني ، وأنها تفتح بابا واسعا للخيال الإنساني في فهم المعاني الكثيرة التي تؤديها تلك الإشارات ؛ لذا تفاوتت أراء المفسرين في تفسير معنى تلك الإشارة ، بل تفاوت رأى المفسر الواحد فيها!، وهذا لا يحدث لو أن هذه الإشارات استبدلت بلفظ مثلا – في غير كتاب الله تعالى – ولنبدأ بما قاله الشوكانى رحمه الله : " ... ثم نبه سبحانه على قبح بعض ما جبل عليه الإنسان من الطبائع المذمومة فقال : " وإذا أنعمنا على الإنسان " أي على هذا الجنس بالنعم التي توجب الشكر كالصحة والغنى " أعرض " عن الشكر لله والذكر له "ونأى بجانبه" النأي البعد والباء للتعدية أو للمصاحبة، وهو تأكيد للإعراض، لأن الإعراض عن الشيء هو أن يوليه عرض وجهه: أي ناحيته، والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ، ولا

١ – الحج :٩ .
٢ – في ظلال القرآن :٤/٢٤٢١ .
٣ – الإسراء آية :٨٣ .

يبعد أن يراد بالإعراض هنا الإعراض عن الدعاء والابتهال الذي كان يفعله عند نزول البلوى والمحنة به، ويراد بالنأي بجانبه التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم .

وجاء في تفسير الجلالين لهذه الآية " (وإذا أنعمنا على الإنسان) الكافر (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) ثنى عطفه متبخترا (وإذا مسه الشر) الفقر والشدة (كان يئوسا) قنوطا من رحمة الله .

وذكرها البيضاوى فقال : " وإذا أنعمنا على الإنسان"بالصحة والسعة "أعرض"عن ذكر الله ." ونأى بجانبه"لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره ، ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين [١].

وتحدث فيها البغوى قائلا: قوله تعالى : " وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض " ، عن ذكرنا ودعائنا ، " ونأى بجانبه " ، أي تباعد عنا بنفسه ، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء . وقال عطاء : تعظم وتكبر ، ويكسر النون والهمزة حمزة و الكسائي ، ويفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر ، وقرأ ابن عامر و أبو جعفر (وناء) مثل جاء قيل :هو بمعنى نأى ، وقيل : ناء من النوء وهو النهوض والقيام .

ويلاحظ اختلاف كلمة المفسرين في تفسيرهم (النأي بالجنب) بين الحقيقة والمجاز ولو جاء لفظ آخر غير هذه الإشارة لرأينا بينهم اتفاق في المعنى وهذا من الثراء الذي تضفيه الإشارة على المعاني .

" فالذي يدل علي البيان من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء:

– اللفظ – الإشارة : وتكون باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب والسيف وغير ذلك من وسائلها ، وحسن الإشارة باليد والرأس من حسن البيان، والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط ... [٢].

١ – البيضاوي :٣٨٢.
٢ – نظرات في البيان.د/محمد عبد الرحمن الكردي .ص:٦ ط.مطبعة السعادة .

ومنها قوله تعالى : " ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون [1] وهي توضح كما يقول الفراء موقف بعض من كان يلقي النبي (صلى الله عليه وسلم) بما يجب وينطوي له على العداوة والبغض وعلى هذا يكون المراد بمن انثناء الصدور إخفاء ما فيها بطريق الكناية لأنه يلزم من انثنائها بمعنى انعطافها وانحنائها على ما فيها من العداوة والبغض لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذا التعبير بالحركة قد أثرى المعنى ووسع الخيال أكثر من أي تعبير يؤدي معنى العداوة والبغض .

---

١ - هود : ٥ .

الإشارة وكتاب الله تعالى :

وإذ جاءت الإشارة في القرآن العزيز، فقد وصلت إلى الغاية القصوى بلاغة وبيانا،وفصاحة وأداء للمعاني ومن بديع ما يدل على قيمة الإشارة في كتاب الله تعالى ما ذكره صاحب (تحرير التحبير) حول قوله تعالى : " ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين [1] لقد قال :" فإن المعنى قد تم بقوله سبحانه: " ولا تسمع الصم الدعاء " ثم أراد وهو يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال: " إذا ولوا مدبرين " فإن قيل: فما معنى مدبرين؟، وقد أغنى عنها قوله : " إذا ولوا " قلت لا يغني عنها قوله: "ولوا" فإن المولي قد يكون بجانب دون جانب، بدليل قوله تعالى : " أعرض ونأى بجانبه [2] وإن كان ذكر الجانب هنا مجازاً ، ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون، أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة، فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهمه السميع بالعبارة، ثم علم أن المولي قد يكون بجانب من المتولي، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتول به ، فيحصل له إدراك لبعض الإشارة ، فجعل الفاصلة مدبرين ليعلم أن المولي كان بجميع الجوانب ، بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدبراً ، فاحتجب المخاطب عن المخاطب، إذ صار من وراء ظهره فخفيت عن عينيه الإشارة، كما صم أذناه عن العبارة ، فحصلت المبالغة في عدم الإسماع بالكلية [3] .

وقد ذكرنا من خلال ما سبق من البحث صورا كثيرة للإشارة في كتاب الله تعالى وسوف نذكر في هذا المبحث صورا أخرى مع أنها تقرر وتؤكد لنا أن جميع صور الإشارات في كتاب الله تعالى وإنما هي صور تساعدنا في إثبات أهمية الإشارة كما ذكرنا .

---

١ - النمل: ٨٠.
٢ - الإسراء: ٨٣ .
٣ - ينظر: تحرير التحبير ٢/٢٣٥.

ومن أول ما نلقاه من الإشارة في كتاب الله قوله تعالى :" يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت "[1] الآية يقول أبو حيان الأندلسي في تفسيره لهذه الآية :...وهذا التمثيل الثاني أتى كاشفا لحالهم بعد كشف الأول[2] وإنما قصد بذلك التفصيل والإسهاب بحال المنافقين ،وشبهه في التمثيل الأول بمستوقد النار وإظهار الإيمان بالإضاءة وانقطاع جدواه بذهاب النور وشبه في الثاني دين الإسلام بالصيب وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيبهم من الإفزاع والفتن من جهة المسلمين بالصواعق ، وكلا التمثيلين من التمثيلات المفرقة...والتمثيل الثاني أبلغ لأنه أدل علي فرط الحيرة وشدة الأمر ، ولذلك آخر فصار ارتقاء من الأهول إلي الأغلظ[3] ...

وقد جاء في تفسير الجلالين لهذه الآية " مثلهم (كصيّب) أي كأصحاب مطر ، وأصله صيوب من صاب يصوب أي ينزل (من السماء) السحاب (فيه) أي السحاب (ظلمات) متكاثفة (ورعد) هو الملك الموكل به وقيل صوته (وبرق) لمعان صوته الذي يزجره به (يجعلون) أي أصحاب الصيب (أصابعهم) أي أناملها (في آذانهم من) أجل (الصواعق) شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها (حذر) خوف (الموت) من سماعها ، كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج والبينة المشبهة بالبرق ، يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت (والله محيط بالكافرين) علما وقدرة فلا يفوتونه.

وذكر الواحدى تفسير هذه الآية فقال : " أو كصيب أو كأصحاب مطر شديد من السماء من السحاب فيه في ذلك السحاب ظلمات ورعد وهو صوت ملك

---

١ - سورة البقرة آية:١٩ .

٢ - يقصد بالأول قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون" وهذا ما أشار إليه بالتمثيل الأول .

٣ - البحر المحيط :١/١٣٩،١٣٨ .

موكل بالسحاب وبرق وهي النار التي تخرج منه يجعلون أصابعهم في آذانهم يعني أهل هذا المطر من الصواعق من شدة صوت الرعد يسدون آذانهم بأصابعهم كيلا يموتوا بشدة ما يسمعون من الصوت فالمطر مثل للقرآن لما فيه من حياة القلوب والظلمات مثل لما في القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأهوال والرعد مثل لما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق مثل لحجج القرآن وما فيه من البيان وجعل الأصابع في الآذان حذر الموت مثل لجعل المنافقين أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعوا القرآن مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدي ذلك إلى الإيمان بمحمد وذلك عندهم كفر والكفر موت والله محيط بالكافرين مهلكهم وجامعهم في النار ".

ولو ذكر القران هذا الموقف ثم عبر عنه بتعبير آخر فجاء بكلمة مخالف تلك الإشارة كأن قال مثلا يرتجفون أو يرتعدون أو يصرخون أو أي كلمة أخرى تصف ما هم فيه من رعب هل كان المعنى يمثل هذه الصورة التي دلت عليها هذه الإشارة وهل كان هناك مجال لاجتهادات المفسرين في فهم معنى تلك الإشارة إن كلام المفسرين عندئذ لن يتجاوز كلمة تفهم معنى هذه اللفظة القرآنية إن كانت صعبة وإن كان سهلة تركوها بدون تفسير كما يحدث كثيرا .

• ومن أظهر ما يطالعنا في ذلك قوله تعالى " فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا "[1] وهنا الإشارة هي ما فعلته السيدة العذراء مريم عندما دخلت علي قومها بطفل صغير تحمله علي صدرها بين يديها ولم يسبق لها زواج و لم تشتهر بسوء فسألوها عن هذا " قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ و ما كانت أمك بغيا " وقد أنكروا عليها ذلك و لاسيما أنها طاهرة البيئة ؛ فأبوها ليس امرأ سوء ، و الأم لم تشتهر بالبغاء!! و من هنا لم تستطع الكلام فقد أمرت : " فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليم

---

١ - سورة مريم الآيات :٢٩،٢٨،٢٧،٢٩ .

انسيا " فتبين لنا أنها قد صامت عن الكلام كما تصوم عن الطعام و الشراب ، و هنا فهي محبوسة عن الكلام بالنذر، و لابد أن تجيب عليهم !! فلتكن الإجابة بشيء غير الكلام !! و هنا جاء دور الإشارة ! " فأشارت إليه " و هذه الإشارة قد أفهمت معنى كما يقول المفسرون " فأشارت إليه " أن كلموه [1] وقد فهم أهلها دلالة هذه الإشارة بل ظن أهلها أنها تستهزئ بهم يقول أبوحيان: " التزمت مريم عليها السلام – ما أمرت به من ترك الكلام ، ولم يرد في هذه الآية أنها نطقت بـ (إني نذرت للرحمن صوما) وإنما ورد أنها أشارت . فيقوي بهذا القول من قال : إن أمرها بـ " قولي " إنما أريد به الإشارة ، ويروي أنها لما أشارت إلي الطفل قالوا : استخفافها بنا أشد علينا من زناها [2] ، ثم قالوا لها علي جهة التقرير : (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) ففهمهم الاستهزاء من إشارتها دليل علي أن للإشارة دلالات تفهم منها ، ولذلك يضيف القرطبي رحمه الله ويقول : " الإشارة بمنزلة الكلام ؛ وتُفهم ما يُفهم القول ، وكيف لا ، وقد أخبر الله تعالي عن مريم فقال : " فأشارت إليه " ؟ وفهم منها القوم مقصودها وغرضها ، فقالوا : " كيف نكلم ....إلخ [3] .

ومن أهم الإشارات التي وردت في كتاب الله و كان لها قصة مشهورة ما حدث مع أبي لبابه– رضي الله عنه – و ذلك في سبب قوله تعالي " يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و تخونوا أماناتكم و أنتم تعلمون [4] فقد قال السيوطي في سبب نزول هذه الآية : روي سعيد بن منصور و غيره عن عبد الله بن أبي قتادة قال نزلت هذه الآية " لا تخونوا الله والرسول " في أبي لبابه عن بن المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر ؟ فأشار إلي حلقه أ– يقول الذبح – فنزلت . قال أبو لبابة :

---

١ – مختصر تفسير الطبري :٢٦٧ ،تفسير البيضاوى :٤٠٥ .
٢ – البحر المحيط : ٢٥٧/٧ .
٣– الجامع لأحكام القران ٤١٤١/٦ ،٤١٤٠ .
٤ – سورة الأنفال آية ٢٧ .

ما زالت قدماي حتي علمت أني خنت الله و رسوله [1] ، فقد نزلت هذه الآية نتيجة لإشارة من أبي لبابه أفهمت معني " فقد أشار إلي بني قريظة حين قالوا:تنزل علي حكم سعد بن معاذ الا تفعلوا فإنه الذبح و أشار إلي حلقه [2] فأبو لبابه – رضي الله عنه – لم يتكلم و إنما أشار إليهم إشارة قامت هذه الإشارة بأداء المعاني التي يريدها أن تصل إليهم من خلالها و هم قد فهموا ما فيها من إجابة لسؤالهم – " هل ينزلون علي حكم سعد بن معاذ ؟ ! " – كما انبني عليها هذا الحدث الكبير و نزلت فيها هذه الآية الشريفة لتضع قاعدة لكل المؤمنين في كل زمان و مكان بالثبات علي مبدأ الوفاء بالعهود لله و رسوله .

وذكر القرطبي : روي أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين أشار إلى بني قريظة بالذبح. قال أبو لبابة:

والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله، فنزلت هذه الآية.

فلما نزلت شد نفسه إلى سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوب الله علي. الخبر مشهور. وعن عكرمة قال: لما كان شأن قريظة بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه فيمن كان عنده من الناس، فلما انتهى إليهم وقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء جبريل عليه السلام على فرس أبلق فقالت عائشة رضي الله عنها: فلكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل عليهما السلام، فقلت: هذا دحية يا رسول الله؟ فقال: هذا جبريل عليه السلام . قال: يا رسول الله ما يمنعك من بني قريظة أن تأتيهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف لي بحصنهم ؟ فقال جبريل: فإني أدخل فرسي هذا عليهم. فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً معروراً ،

---

١ – أسباب النزول :١٢٨ .
٢ – الجامع لأحكام القران الكريم :٢٨٣١/٥ .

فلما رآه علي رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لا عليك ألا تأتيهم، فإنهم يشتمونك. فقال: كلا إنها ستكون نجية. فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا إخوة القردة والخنازير فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنت فحاشاً! فقالوا: لا نترل على حكم محمد، ولكنا نترل على حكم سعد بن معاذ، فترل. فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بذلك طرقتي الملك سحراً فترل فيهم "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون". نزلت في أبي لبابة، أشار إلى بني قريظة حين قالوا: نترل على حكم سعد بن معاذ، لا تفعلوا فإنه الذبح، وأشار إلى حلقه. وقيل: نزلت الآية في أنهم كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وسلم فيلقونه إلى المشركين ويفشونه. وقيل: المعنى بغلول الغنائم ونسبتها إلى الله ، لأنه هو الذي أمر بقسمتها. وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه المؤدي عن الله عز وجل والقيم بها. والخيانة: الغدر وإخفاء الشيء، ومنه: "يعلم خائنة الأعين [1] وكان عليه السلام يقول:اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة [2] . "وتخونوا أماناتكم" في موضع جزم، نسقاً على الأول. وقد يكون على الجواب ، كما يقال : لا تأكل السمك وتشرب اللبن. والأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد. وسميت أمانة لأنها يؤمن معها من منع الحق ، مأخوذة من الأمن . وقد تقدم في النساء القول في أداء الأمانات والودائع وغير ذلك . " وأنتم تعلمون " أي ما في الخيانة من القبح والعار . وقيل: تعلمون أنها أمانة.

– ومن أول السور التي تطالعنا في كتاب الله بحديث عن الإشارة و استعمالاتها ما نلقاه في سورة آل عمران من قصة سيدنا زكريا عليه – عليه السلام – فبعد أن يشاء الله تعالى بالغلام علي يأس منه و قنوط " و كبر من امرأته و عقر "، قال " رب

---

١ – سورة غافر آية: ١٩.

٢ – أخرجه النسائي عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول.... فذكره.

اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا و اذكر ربك كثيرا و سبح بالعشي و الإبكار [1] . و قد طلب هذه الآية مع يقينه بقدرة الله تعالى ليتأكد من صحة ها الأمر و زيادة طمأنينة فجعل الله آيته العجز عن مخاطبة الناس كلاما وإفهامهم يقول ابن زيد: إن زكريا علي السلام لما حملت زوجه منه بيحيي أصبح لا يستطيع أن يكلم أحدا ، وهو مع ذلك يقرأ التوراة ويذكر الله ؛ فإذا أراد مقاولة أحد لم يطق [2] وكان من فضل الله عليه أن صرح له في الرمز لإفهام الناس ما يريد وحتي لا تنقطع صلته تماما بالعالم و الذي لابد له من التعامل معه ، و الرمز في اللغة "الإيماء بالشفتين وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين و العينين واليدين ؛ و أصله الحركة [3] فالرمز أي : " بالإشارة لا بالنطق وكان صيامهم عن الطعام والكلام [4] والمقصود أن زكريا منع من إفهام الناس أي شيء بالقول وإنما يجوز له فقط الرمز وأنه كان يستطيع الكلام بدلالة قوله تعالي : " واذكر ربك كثيرا [5] .... فقوله " إلا رمزا " أي : " أي إشارة لا تستطيع النطق مع أنك سوي صحيح [6] وذكر القاضي البيضاوي الإشارة فقال :" إلا رمزا إشارة بنحو يد ورأس وأصله التحرك ومنه قيل الراموز للبحر [7]

---

١ – سورة آل عمران آية ٤١ .

٢ – الجامع لأحكام القران الكريم ٣/١٣٢٢ .

٣ – نفس المصدر ٣/١٣٢٢.

٤ – أوضح التفاسير ٦٤.

٥ – قال محمد بن كعب القرظي :" لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا لقول الله – عز وجل " ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا و اذكر ربك كثيرا " و لرخص للرجل يكون في الحرب يقول الله – عز وجل – و إذا لقيتم فئة فاثبتوا و اذكروا الله كثيرا " ذكره القرطبي – الجامع لأحكام القران ٣/١٣٢٢ .

٦– تفسير ابن كثير ١/٣٦٢ .

٧ – تفسير البيضاوي ٣٧ .

وأصل الرمز الحركة . يقال : ارتمز إذا تحرك ومنه قيل للبحر : الراموز ثم اختلفوا في المراد بالرمز ههنا على أقوال:

- الأول : أنه عبارة عن الإشارة كيف كانت ؛ باليد ، أو الرأس ، أو الحاجب ، أو العين ، أو الشفة .

والثاني : أنه عبارة عن تحريك الشفتين باللفظ من غير نطق ، وصوت قالوا : وحمل الرمز على هذا المعنى أولى ؛ لأن الإشارة بالشفتين يمكن وقوعها بحيث تكون حركات الشفتين وقت الرمز مطابقة لحركاتها عند النطق فيكون الاستدلال بتلك الحركات على المعاني الذهنية أسهل . الثالث : وهو أنه كان يمكنه أن يتكلم بالكلام ، وأما رفع الصوت بالكلام فكان ممنوعاً منه. فإن قيل : الرمز ليس من جنس الكلام ، فكيف استثني منه ؟ قلنا : لما أدى ما هو مقصود من الكلام سمي كلاماً، ويجوز أيضاً أن يكون استثناءً منقطعاً , فأما إن حملنا الرمز على الكلام الخفي فإن الإشكال زائل .

ولتمام الفائدة لهذه الآية نذكر ما ذكره أبو حيان الأندلسي حولها فهو كلام جامع يقول :

والمراد ثلاث أيام بلياليها ، يدل على ذلك قوله تعالى في سورة مريم :" قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا [1] وهذا يضعف تأويل من قال : أمر بالصوم ثلاثة أيام وكانوا لا يتكلمون في صومهم ، والليالي تبعد مشروعية صومها، ولم يعين ابتداء ثلاثة أيام بل أطلق فقال ثلاثة أيام فإن كان ذلك بتكليف فيمكن أن يكون ذلك موكولا إلى إخباره يمتنع من تكليم الناس ثلاثة أيام متى شاء ، ويمكن أن يكون ذلك من حين الخطاب وإن كان بمنع قهري فيظهر أنه من حين الخطاب .

.... استثناء الرمز قيل هو استثناء منقطع إذ الرمز لا يدخل تحت التكليم من أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على ما في نفس المشير فلا يبعد أن يكون هذا استثناء متصلا على مذهبه و لذلك أنشد النحويون :

---

١ - مريم : آية ٤.

أرادت كلاما و اتقت من رقيبها فلم يك إلا ومؤها بالحواجب

وقال:(إبراهيم بن المهدي)

إذا كلمتني بالعيون الفواتر رددت عليها بالدموع البوادر

واستعمل المولدون هذا المعنى قال حبيب :

كلمته بجفون غير ناطقة فكان من رده ما قال حاجبه

وكونه استثناء متصلا بدأ به الزمخشري . قال لما أدى مؤدى و فهم منه ما يفهم سمي كلاما ... وذهب الفقهاء في الإشارة ونحوها إلى أنها في حكم الكلام في الإيمان ونحوها فعلى هذا يجئ الاستثناء متصلا والرمز هنا تحريك بالشفتين قاله مجاهد أو إشارة باليد والرأس قاله الضحاك والسدى وعبد الله الكبير، أو إشارة باليد قاله الحسن ، أو إيماء قاله قتادة ، فالإيماء هو الإشارة لكن لم يعين بماذا أشار وروى عن قتادة : إشارة باليد أو إشارة بالعين روى ذلك عن الحسن .

وقيل : رمزه الكتابة على الأرض ، وقيل الإشارة بالإصبع المسبحة، وقيل باللسان ، ومنه قول الشاعر :

ظل أيام له من دهره يرمز الأقوال من غير خرس

وقيل الرمز الصوت الخفي [1] .

• ومن استعمال الإشارات في كتاب الله قوله تعالى : " وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ [2] .

وظاهره فعل ذلك و أنه يقع منهم عض الأنامل لشدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذ ما يريدون ومنه قول أبي طالب:

وقد صالحوا قوما علينا أشحة يعضون غيظا خلفنا بالأباهم

وقال الآخر:

---

١ - البحر المحيط:٣/ ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١.

٢ - سورة آل عمران الآية:١١٩ .

إذا رأوني أطال الله غيظهم عضوا من الغيظ أطرافهم الأباهم [1]

وقال آخر : (الفرزدق)

وقد شهدت قيس فما كان نصرها قتيبة إلا عضها بالأباهم

وقال الحرث بن ظالم المرىّ :

وأقتل أقواما لئاما أذلة يعضون من غيظ رؤوس الأباهم

ويوصف المغتاظ النادم بعض الأنامل والبنان و الإبهام و هذا العض هو بالأسنان و هي هيئته في بدن الإنسان تتبع هيئة النفس الغاضبة ، كما أن ضرب اليد علي اليد يتبع هيئة النفس المتلهفة علي فائت قريب الفوت ، و كما أن قرع السن هيئة تتبع هيئة النفس النادمة، إلي غير ذلك وقد جاء في تفسير الجلالين لهذه الآية : " (ها) للتنبيه (أنتم) يا (أولاء) المؤمنين (تحبونهم) لقرابتهم منكم وصداقتهم (ولا يحبونكم) لمخالفتهم لكم في الدين (وتؤمنون بالكتاب كله) أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم (وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل) أطراف الأصابع (من الغيظ) شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازا وإن لم يكن ثم عض (قل موتوا بغيظكم) أي ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم (إن الله عليم بذات الصدور) بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء .

فالعض عندهم مجاز يدل علي شدة الغضب وإن كنت أرى أن العض حقيقي وهو من فعل الحانق المتغيظ وهو من لغة العرب فلما يحمل على غير وجهه كما أن حمله على الحقيقة أقوي في المعنى وأشد في إظهار حالتهم وحنقهم من المؤمنين .

ومن الإشارات في كتاب الله قوله تعالى "وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار [2] فقد اشتق الله الفعل(جرحتم) من الجارحة وهى ليست كلام

---

١ - لسان العرب أورده للحياني .

٢ - الأنعام آية: ٦٠ .

والمعنى كما جاء في البحر المحيط " معنى جرحتم : كسبتم و منه جوارح الطير أي: كواسبها واجترحوا السيئة أي : اكتسبوها والمراد منها أعمال الجوارح ومنه قيل للأعضاء جوارح ... وقال مكي : " أصل الاجتراح عمل الرجل بجارحه من جوارحه يده ورجله ثم كثر حتى قيل مكتسب مجترح و جارح ما جرحتم العموم في المكتسب خيراً كان أو شراً [1] .

وقد ذكر الشوكاني في فتح القدير :

" ويعلم ما جرحتم بالنهار " أي كسبتم بجوارحكم من الخير والشر...

* ومن الإشارات في كتاب الله قوله تعالى :" فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها " [2] .

(يقلب كفيه) ظهرا لبطن وهو أنه يبدى باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها و هي فعله النادم المتحسر على شيء قد فاته المتأسف على فقدانه كما يكنى بقبض الكف والسقوط في اليد وقيل : يصفق بيده على الأخرى .

" يقلب كفيه " ظهرا لبطن . وقيل : يضع باطن أحداهما علي ظهر الأخرى ، و لما كان هذا الفعل كناية عن الندم عداه تعديه فعل الندم فقال " على ما أنفق فيها ، كأنه قال : فأصبح نادما على ذهاب ما أنفق في عمارة تلك الجنة . [3] .

* ومنها قوله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) [4] الظالم هنا عقبة بن أبي معيط وفلان هو أبي بن خلف ... و المقصود ذكر هول يوم القيامة بتندم الظالم وتمنيه أنه لم يكن أطاع خليله الذي كان يأمره بالظلم وما من ظالم إلا وله في الغالب خليل خاص

---

١ - البحر المحيط: ٥٣٧/٤ .

٢ - سورة الكهف آية ٤٢ .

٣ - البحر المحيط ١٨١/٧ .

٤ - الفرقان آية ٢٧،٢٨ .

به يعبر عنه بفلان و الظاهر أن الظالم يعض علي يديه فعل النادم المتفجع . وقال الضحاك : يأكل يديه إلى المرفق ثم تنبت ، ولا تزال كذلك كلما أكلها تنبت ، وقيل هو مجاز عبر به عن التحير والغم والندم والتفجع و نقل أئمة اللغة أن المتأسف المتحزن المتندم يعض إبهامه ندما و قال الشاعر : (السري الرفاء)

لطمت خدها بحمر لطاف نلن منها بيض عذاب
فتشكى العناب نور إقاح واشتكى الورد ناضر العناب

وفي المثل : يأكل يديه ندما ويسيل دمعه دما .

وعض الأنامل واليدين ،والسقوط في اليد ،وأكل البنان ،وحرق الأسنان ، والإدم وفروعها ، كنايات عن الغيظ والحسرة ؛ لأنها من روادفها فتذكر المرادفة . ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجد عند لفظ المكنى عنه . انتهى وقال الشاعر في حرق الناب :

أبى الضيم و النعمان يحرق نابه عليه فأفضى و السيوف معاقلة [1]

"ومنها قوله تعالى :" وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في أذانهم واستغشوا ثيابهم [2] أي : ليتوبوا فتغفر لهم ، ذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ؛ ليكون أقبح في إعراضهم عنه و (جعلوا أصابعهم في أذانهم) الظاهر أنه حقيقة ، سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم إليه، و تغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه ، كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح ، ويجوز أن يكون كناية عن المبالغة في إعراضهم عن ما دعاهم إليه ، فهم بمنزلة من سد سمعه ومنع بصره ، ثم كرر صفة دعائه بيانا وتوكيدا ؛ لما ذكر دعائه عموم الأوقات ، ذكر عموم حالات الدعاء [3] .

---

١ - البحر المحيط :٨/١٠١، ١٠٢، والبيت لزهير.
٢ - سورة نوح : آية :٧.
٣ - البحر المحيط : ١٠ / ٢٨١،٢٨٢ .

وذكر القرطبي :

" قوله تعالى : "وإني كلما دعوتهم" أي إلى سبب المغفرة، وهي الإيمان بك والطاعة لك. "جعلوا أصابعهم في آذانهم" لئلا يسمعوا دعائي "واستغشوا ثيابهم" أي غطوا بها وجوههم لئلا يروه. وقال ابن عباس: جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامه. فاستغشاء الثياب إذاً زيادة في سد الأذان حتى لا يسمعوا، أو لتكبرهم أنفسهم حتى يسكت، أو ليعرفوه إعراضهم عنه. وقيل هو كناية عن العداوة . يقال : لبس لي فلان ثياب العداوة. "وأصروا" أي على الكفر فلم يتوبوا. "واستكبروا" عن قبول الحق ،لأنهم قالوا : " أنؤمن لك واتبعك الأرذلون [1] " استكبارا " تفخيم .

وذكر الشوكاني:

"وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم" أي كلما دعوتهم إلى سبب المغفرة ، وهو الإيمان بك، والطاعة لك "جعلوا أصابعهم في آذانهم" لئلا يسمعوا صوتي "واستغشوا ثيابهم" أي غطوا بها وجوههم لئلا يروني، وقيل جعلوا ثيابهم على رؤوسهم لئلا يسمعوا كلامي، فيكون استغشاء الثياب على هذا زيادة في سد الآذان، وقيل هو كناية عن العداوة، يقال لبس فلان ثياب العداوة، وقيل استغشوا ثيابهم لئلا يعرفهم فيكلمهم "وأصروا" أي استمروا على الكفر، ولم يقلعوا عنه ولا تابوا عنه "واستكبروا" عن قبول الحق، وعن امتثال ما أمرهم به " استكباراً " شديداً .

---

١ - الشعراء:١١١

المبحث السابع

العرب و الإشارة

لقد فطن علماء العرب القدامى إلي قيمة الإشارة و أهميتها بالنسبة للمتكلمين و أيضا للسامعين و من أشهر من تكلم عن أهمية الإشارة في الإفهام :

عبدالملك بن مروان الذي قال : " لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي [1] وهو هنا يشير إلي دور الإشارات التي يؤديها بالخيزرانة في إفهام مخاطبيه ما جعله شطر كلامه، وقد سبق عبد الملك في ذلك أشهر و أبلغ خطباء العرب و هو:

سحبان وائل وقد طلب منه معاوية الكلام فلم يتكلم ولم ينطق حتي أتوه بمخصرة [2] .

ومن الذين تحدثوا عن الإشارة ، وبينوا انه لابد منها لتمام البيان ، ولكمال الفهم ، والتواصل للسامع والمخاطب على حد سواء :

أبو العيناء : ذكر الصولى عنه ما دار بينه والخليفة المتوكل فقد قال له في حديث دار بينهما فكان منه:" فما تقول في صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ - وكان قد علم أني واجدٌ عليه بتقصير وقَعَ منه في أمْري - فقلت: يا أميرَ المؤمنين، يدٌ تَسْرِق واستٌ تضرط ؛ وهو مثل اليهوديّ سرق نصف جزْيَته، فلَه، إقدامٌ بما أدى، وإحجام بما أبْقى، إساءتُه طبيعة، وإحسانه تكلّف !

قال : قد أرَدْتك لمجالستي، قلت: لا أطيق ذاك، وما أقول ذلك جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرَف، ولكني محجوب، والمحجوب تخلف عليه الإشارة، ويَخْفَى عليه الإيماء، ويجوز أن يتكلّم بكلام غَضْبان ووَجْهُك راضٍ أو بكلام راضٍ ووَجْهُك

---

١ - البيان و التبين ١١٩/١.

٢ - ينظر نفس المصدر و نفس الصفحة .

غضبان، ومتى لم أميز بين هذين هلكت، قال: صدقت، ولكن للزمنا، قلت: لزوم الفَرْض الواجبِ اللازم، فوصَلني بعشرة آلاف درهم [1] .

ويبدوا من هذه القصة أيضا فهم الخليفة المتوكل لقيمة الإشارة وأثرها الرئيس في عملية الفهم والإفهام ؛ فكان أن عذر من لم يستطع فهم الإشارة .

ومن العلماء :

ابن المقفع ت ١٤٥هـ (تقريبا) الذي تحدث عن الإشارة و بين قيمتها فقد ذكر إسحاق بن حسان بن قوهي :" لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط . سئل : ما البلاغة ؟ قال : اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت و منها ما يكون في الاستماع و منها ما يكون في الإشارة و منها ما يكون في الاحتجاج و منها ما يكون جوابا و منها ما يكون ابتداءاً و منها ما يكون شعراً و منها ما يكون سجعا و خطباً و منها ما يكون رسائل [2] . فالإشارة من البلاغة عند ابن المقفع و بفهم كلامه يستبين لنا أنه يقصد الإشارة التي تتحدث عنها و قد جعلها في مقابل العبارة و السكوت .

وكذلك تحدث الجاحظ ت ٢٥٥هـ عن الإشارة وأهميتها مع اللفظ في عملية الإفهام فقال : " ... والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان ... وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة .. [3] فقد بين الجاحظ أن فنون القول مثل الخطابة والقصص والوعظ تتطلب أشياء تكمل عملية الإفهام وتربه التأثير في السامعين مثل الإشارات والنغمات الصوتية وتغايرها وقد نص علي ذلك

---

١ - زهر الآداب ١٠١/١ .

٢ - البيان و التبين ٦٤/١ .

٣ - البيان و التبين ٧٨/١ .

أيضا فقال :" والمغني قد يوقع بالقضيب علي أوزان الأغاني والمتكلم قد يشير برأسه ويده علي أقسام كلامه و تقطيعه ففرقوا ضروب الحركات علي ضروب الألفاظ وضروب المعاني و لو قبضت يده و منعت حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه [1].

الإفهام " ، فجعل اللفظَ للسامع ، وجعل الإشارةَ للناظر، وأشرك الناظرَ واللامس في معرفة العَقْد، إلاّ بما فضّل الله به نصيبَ الناظرِ في ذلك على قدْرِ نصيبِ اللامس، وجَعَلَ الخطَّ دليلاً على ما غابَ من حوائجه عنه،وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانه؛ وجعله خازناً لما لا يأمَن نسيانَه، ممّا قد أحصاه وحفظه،وأتقنه وجَمعه ، وتكلف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائق نصيباً ".

وقد تحدث عن منافع اليد فبين أن من أهمها الإشارة فذكر في فضل اليد : " اللسانُ الآنَ إنّما هو في منافع اليدِ والمرافق التي فيها، والحاجاتِ التي تبلُغها، فمن ذلك حظُّها وقِسْطُها من منافع الإشارة، ثم نَصيبُها في تقويم القلم، ثم حَظُّها في التصوير، ثم حَظُّها في الصناعات، ثم حَظُّها في العَقْد، ثم حَظُّها في الدَّفْع عن النفس، ثمّ حَظُّها في إيصال الطعام والشراب إلى الفم، ثم التوضُّؤ والامتساح، ثم انتقادِ الدنانيرِ والدراهمِ ولُبسِ الثّياب "

ثم ما فتئ يركز عن دور الإشارة في عملية الإفهام : " .... ولولا الإشارةُ لَمَا فهموا عنك خاصُّ الخاصِّ إذا كان أخصُّ الخاصِّ قد يدخل في باب العامّ، إلاّ أنه أدنى طبقاته؛ وليس يكتفي خاصُّ الخاصِّ باللفظ عمّا أدّاه، كما اكتفى عامُّ العامّ والطبقاتُ التي بينه وبين أخصِّ الخاصِّ ".

و قد جعل الجاحظ وسائل البيان ووسائط التفاهم بين الناس خمس وسائل في كتاب البيان و التبين أو أربع وسائل في كتاب الحيوان لكن الجامع المهم الذي أكد

---

١ - نفس المصدر ١١٩/١.

عليه هو الإشارة فقد قال في البيان : " وجميع أصناف الدلالات علي المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد [1]

ثم الخط ثم الحال التي تسمي نصبة بكسر النون [2] ... " وقد جعلها في الحيوان أربع أقسام: هي" اللفظ والإشارة والعقد والخط [3].

وقد بين لنا الجاحظ أن هناك من الناس من كان ينكر أثر الإشارة و أهميته في التخاطب و في إيصال السامعين المعاني وافية بل يعد من يستعمل الإشارة عاجزا ولولا ذلك ما استعان بالإشارة ومن هؤلاء :

أبو شمر أحد أئمة القدرية المرجئة الذي يقول :" ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره " ثم يذكر لنا الجاحظ أن أبا شمر هذا قد نقض كلامه فعلا عندما كلمه و تحاور معه إبراهيم بن يسار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة في المسألة حتي حرك يده وحل حبوته وحبا إليه حتي أخذ بيديه [4]. وقد وصف الجاحظ أبا شمر فقال : " وكان أبا شمر إذا نازع لم يحرك يديه و لا منكبيه ولم

١- العقد: هو عقد الأصابع و هذا يمثل دوراً في اللغة الإشارية فاليد تؤدي عشرات المعاني مثل : النداء و الطلب و القبول و الرفض و التهديد و الوعيد والمصافحة عند و عند اللقاء و التوديع عند الفراق و تؤدي أصابع اليد منفردة و مجتمعة دوراً هاماً في تحديد هذه المعاني

٢ - البيان و التبين ٧٦/١.و قد فسر النصبة فقال : إنها الحال الناطقة بغير لفظ و المشورة بغير اليد و ذلك ظاهر في كل صامت و ناطق ... - البيان ٨١/١ - و فسرها أيضا : فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ، و معربة من جهة الشهادة علي أن الذي فيها من التدبير و الحكمة غير لمن استخبر ، و ناطق لمن استنطق كما يخبر الهزال و كسوف اللون عن سوء الحال ، و كما ينطق السمن و حسن النضرة عن حسن الحال .. فموضوع الجسم و نصبه دليل علي ما فيه و داعية إليه ومهيمنة عليه الحيوان ٣٠،٣١/١.

٣ - الحيوان ٣٩/١.

٤ - البيان و التبين ٩١/١.

يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كأن كلامه يخرج من صدغ صخرة [١] ، ومع ذلك استخدم الإشارة لما وجد أن العبارة لا تكفيه .

وقد بين الجاحظ أن الذين حرموا نعمة الكلام والسمع يكون طريقهم الوحيد في التواصل مع الناس والفهم والإفهام هو الإشارة "... والأخرس يرى النّاس يصفّقون بأيديهم ، عند دعاءِ إنسانٍ ، أو عند الغضب والحَدّ ، فيعرف صورة تلك الحركة ، لطول تَرْدادِها على عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات ، وإذا تعجَّبَ ضربَ بيدَيه كما يضربون [٢] .

وتوسع الجاحظ في بيان قيمة الإشارة وأنها طريقة للتفاهم بين مخلوقات الله من غير البشر بعضها مع بعض ومع الإنسان أيضا " فالنّعامة تعرفُ صورةَ إشارة الرِّئلان وإرادتها ، فتعقل ذلك، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة والحركة ، وغدت لحركتها أصواتٌ ، ولو كانا يسمعان لم تزد حالهما في التّفاهُم على ذلك [٣] .

ثم يستطرد " وقلنا في العقد ولم تكلفوه، وفي الإشارة ولم اجتلبوها ، ولم شبهوا جميع ذلك ببيان اللسان ، حتى سموه بالبيان . ولم قالوا : القلم أحد اللسانين ، والعين أنم من اللسان .

وقلنا في الحاجة إلى المنطق وعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه ، وكيف صار أعم نفعاً ، ولجميع هذه الأشكال أصلاً ، وصار هو المشتق منه ، والمحمول عليه ، وكيف جعلنا الأجسام الصامتة نطقاً والبرهان الذي في الأجرام الجامدة بياناً [٤] .

وبين أن العقلاء يستغنون في أحايين كثيرة بالإشارة عن العبارة " ولو كنت تعرف الجليل من الرأي ، والدقيق من المعنى ، وكنت في مذاهبك فطناً نقاباً ، ولم تك

١ - نفس المصدر .
٢ - نفس المصدر .
٣ - البيان والتبين ١١١/٢ .
٤ - نفس المصدر .

في عيب من ظهر لك عيبه مرتاباً ، لاستغنيت بالرمز عن الإشارة ، وبالإشارة عن الكلام ، وبالسر عن الجهر، وبالخفض عن الرفع ، وبالاختصار عن التطويل ، وبالجمل عن التفصيل ، وأن تستريح منك [١] .

وقد ذكر أن من صفات العقلاء أهل البلاغة أن أحدهم " يعرف كيف الحجة من الشبهة، والغدر من الحيلة،والواجب من الممكن، والغفل من الموسوم ، والمحال من الصحيح ، والأسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية وما يعلم مما لا يعلم ، وما يعلم باللفظ دون الإشارة مما لا يعلم إلا بالإشارة دون اللفظ، وما يعلم معتمداً ولا يعلم مكيفاً ولا يعلم معتقداً . وما المستغلق الذي يجوز أن يفارقه استغلاقه ، والمستبهم الذي لا يفارقه استبهامه ، ومن هو طائر مع العوام حيث طارت ، وساقط معها حيث سقطت ، مع الزراية والرغبة عنها. قد طلبها بفضل طلبه لنفسه ، وجرى معها بقدر مناسبتها لقدره [٢] .

وجاء بعد الجاحظ ابن وهب الكاتب في كتابه " نقد النثر " والذي عرف باسم " البرهان في وجوه البيان " وقد تأثر بالجاحظ في هذا الكتاب ولكنه عند تقسيم البيان إلى أنواعه التي يتكون منها لم يذكر منها الإشارة على أنها نوع من البيان مستقل بنفسه كما ذكر الجاحظ ، وإنما عدها من العبارة أي : أنها تقوم مقام العبارة وتؤدى مؤداها بل قد تكون أبلغ كما روى عن بعضهم : " رب إشارة أبلغ من عبارة " فجعلها من وجوه الوحي وهو الإبانة عما في النفس بغير المشافهة من إيماء أو إشارة أو رسالة أو مكاتبة ... إلخ .

١ - الرسائل :٢٤٥/٤ .
٢ - الرسائل:٢٤٨/٤ .

يقول ابن وهب : والوحي على وجوه كثيرة فمنه الإشارة كما قال الله عز وجل " فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا" ... ومن الوحي : الإشارة باليد ، و الغمز بالحاجب ، و الايماض بالعين ، كما قال الشاعر:

وتوحي إليه باللحاظ سلامها مخافة واش حاضر ورقيب

وفي موضع آخر من كتابه نراه يجعل الإشارة مرآدفة للإيجاز فينقل عن بعضهم في وصف البلاغة عندما سئل عنها : " هي الاكتفاء في مقامات الإيجاز بالإشارة ، والاقتدار في مواطن الأصالة على الغزارة " و قال الشاعر في هذا المعنى :

يرمون بالخطب الطوال و تارة وحى الملاحظ خيفة الرقباء [1]

وقد بين الآمدي ت ٣٧٥ هـ أن الإشارة تؤدي أحيانا مثل العبارة فأطلق عليها (تقول) فقد علق علي بيت البحتري الذي يقول فيه :

لوت بالسلام بنانا خضيباً ولحظاً يشوق الفؤاد الطروبا

ومن الناس من يزد بعد الإصبع علي استقامة و منهم من يفتلها و يلويها كأن يقول ياصبعه و عليك فيلويها إذا أراد هذا المعني [2] ويلاحظ أنه عبر عن فعل الإصبع بقوله (كأن يقول ياصبعه) .

وأيضا من العلماء العرب الذين تحدثوا عن أهمية الإشارة و بينوا قيمتها :

ابن جني ت ٣٩٣ هـ الذي تحدث عن قيمة الإشارة و التي تفهم بالعين كما يفهم الكلام بالأذن فذكر و هو يتحدث عن مصطلح (حكاية الحال) :

" ... أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر و أراد أن يخاطب صاحبه و ينعم تصويره له في نفسه استعطف ليقبل عليه فيقول له: يا فلان أين أنت ؟ أرني وجهك ؟ أقبل عليّ أحدثك ؟ ، فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلف القائل و لا تكلف صاحبه الإقبال عليه و الإصغاء إليه و علي ذلك قال :

---

١ - نقد النثر ٩٦.

٢ - الموازنة ٧٦/١.

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من العداوة أو ود إذا كانا

وقال الهذلي :

رموني وقالوا : يا خويلد لا ترع فقلت : أنكرت الوجوه : هم هم

أفلا تري إلي اعتباره بمشاهدة الوجوه ، وجعلها دليلا علي ما في النفوس ، وعلي ذلك قالوا رب إشارة أبلغ من عبارة [1] .

وحين يتحدث عن اللغة وأن منها ما نشأ مواضعةً يؤكد أن الإشارة كانت شقا مهما في تكوين هذه اللغة حيث يقول :" فكأنهم جاءوا إلي واحد من بني آدم فأومئوا إليه وقالوا : إنسان ، إنسان ، إنسان ، فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذه الضرب من المخلوق . وإن أرادوا سمة عينه ، أو يده ، أشاروا إلي ذلك فقالوا : يد ، عين ، رأس ... [2] .

وقد رد ابن سنان الخفاجي على الذين قصروا اللغة على الكلام فقط ونفوا قيمة الإشارة بقوله :" وقد ظن قوم أن المواضعة بيننا تحتاج إلى إذن سمعي ، ولا وجه لهذا القول، إذ الدواعي إلى التخاطب وتعريف بعضنا مراد بعض قوية، والانتفاع بذلك ظاهر. ولا وجه فيه من وجوه القبح قبحت حسنه ، كالتنفس في الهواء. وكما تحسن من أحدنا الإشارة في بعض الأوقات إلى ما يريده من غير إذن سمعي، فكذلك المواضعة على كلام يدل عليه. ومن فرق بينهما فمقترح. وإنما فزع العقلاء إلى الحروف في المواضعة لأنها أسهل وأوسع، ومع التأمل لا يوجد ما يقوم مقامها. فأما ما نحن بصدده من ذكر اللغة العربية، فلا خفاء بميزاتها على سائر اللغات، وفضلها. أما السعة فالأمر فيها واضح [3] .

---

١ - الخصائص ٢٤٦/١، ٢٤٧.

٢ - نفس المصدر ٤٥/١.

٣ - سر الفصاحة ص ٦٥.

وقد فهمنا من كلامه أهمية الإشارة عنده – كما ندرسها – والذي عزز هذا الفهم نصه صراحة على مفهوم الإشارة وأنها ما يخالف العبارة وهى من البلاغة حيث يقول : " وقد حد الناس البلاغة بحدود إذا تحققت كانت كالرسوم والعلائم وليست بالحدود الصحيحة فمن ذلك قول بعضهم لمحة دالة وهذا وصف من صفاتها فأما أن يكون حاصرا لها ، وحداً يحيط بها .

فليس ذلك بممكن لدخول الإشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد [1].

وأيضا نجد أبا إسحاق إبراهيم الشيرازي ت ٤٧٦ هـ يجعل الإشارة من وسائل البيان السبع قائلا : " ويقع البيان بالقول ، ومفهوم القول ، والفعل ، والإقرار ، والإشارة ، والكتابة ، والقياس " ثم يوضح هذه الوسائل حتي يأتي إلي توضيح الإشارة فيقول : " وذلك كبيانه – صلي الله عليه وسلم– لعدد أيام الشهر بإشارته بأصابعه العشر ثلاث مرات في قوله : الشهر هكذا و هكذا و هكذا يعني ثلاثين يوما ، ثم أعاد الإشارة بأصابعه ثلاث مرات ، وحبس إبهامه في الثالثة إشارة إلي أن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوما [2].

وقد تحدث الفخر الرازي ت ٦٠٤ هـ عن أهمية الإشارة في عملية التواصل يقول : " السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لابد من التعاون ولا تعاون إلا بالتعارف ولا تعارف إلا بالأسباب كحركات أو إشارات أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد [3].

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث:كما ذكر صاحب (العمدة) " البلاغة الفهم والإفهام وكشف المعاني بالكلام ، ومعرفة الإعراب ،

---

١ – نفس المصدر ص ٦٠.
٢ – اللمع في أصول الفقه ص ٥٣، ٥٤.
٣ – المزهر ١/٣٨.

والاتساع في اللفظ ، والسداد في النظم ، والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء وصواب الإشارة ، وإيضاح الدلالة،والمعرفة بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار" .

قال ابن رشيق معقبا على هذا الكلام:

وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض، كحاجة بعض أعضاء البدن إلى بعض ، لا غنى لفضيلة أحدها عن الآخر ؛ فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل كمال،ومن شذ عنه بعضها لم يعد من النقص بما اجتمع فيه منها [1].

وقد تحدث القلقشندي صاحب (صبح الأعشى) عن الإشارة وهو يتحدث عن آداب المملوك فقال :"... الفضائل التي هي بالمملوك ... أليق وأن يكون مع ذلك بأعلى مكانة من اليقظة والاستدلال بقليل القول على كثيره وببعض الشيء على جميعه ويستغني عن التصريح بالإشارة والإيماء بل الرمز والإيحاء لينبه الملك على الأمور من أوائلها ويعرفه خواتم الأشياء من مفتتحاتها ويحذره حين تبدو له لوائح الأمر من قبل أن يتساوى فيه العالم والجاهل ...

ثم قال : وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها بالإشارة أو اللفظ أو الخط ؛ فالإشارة تتوقف على المشاهدة ، واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه ، أما الخط فإنه لا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعا وأشرفها...

وذكر أن من الإشارات ما يحتاج إلي فهم دقيق أو قل فهم خاص !!

ومن ذلك ما حكاه المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه (التعريف) عند الكلام على المكاتبة إلى الأذفونش ملك الفرنج بطليطلة من بلاد الأندلس حيث كان خبيث النية سيء المقاصد لأهل الإسلام وأنه أرسل مرة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، صاحب الديار المصرية ، هدية فيها سيف وثوب بندقي وطارقة مستطيلة تشبه النعش ، كأنه يقول : أقتلك بهذا السيف وأكفنك في هذا الثوب وأحملك على هذا النعش!! قال: وكان الجواب أن أرسل إليه : حبلا أسود وحجرا ،أي إنه كلب يرمي بهذا الحجر أو يربط في هذا الحبل !!

---

١ – العمدة ١/٢٤٧.

المبحث الثامن

بلاغة الإشارة

تعد الإشارة إذا أحسن المتكلم استعمالها من البلاغة بل من أعلى درجات البلاغة ولا أدل على بلاغة الإشارة من :

- ورود الحديث عنها في كتاب الله واستعمالها فيه ...

- استعمالها من أفصح العرب بل أفصح خلق الله قاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث الجاحظ عن تفاوت درجات الإفهام " وربما كانت الكناية أبلغ في التعظيم، وأدعى إلى التفديم، من الإفصاح والشرح. وربما أتى من السكوت بما يعجز القول عنه وقد بلغ أقصى حاجته وغاية أمنيته بالإيماء ة الإشارة ، حتى يكون تكلُّف القول فضلاً ، والكلام خطلا .

وذكر المبرد ونقله بنصه صاحب العمدة : وقالوا: مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت، فهذا باب تتقدم الإشارة فيه الصوت، وقيل : حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان ، جاء بذلك الرماني نصاً ، وقاله الجاحظ من قبل [1] .

١ - العمدة : ٣٠٩/١ .

المبحث التاسع

ضوابط الإشارة

من خلال المدارسة الطويلة لهذا الموضوع والمطالعة المتكررة لما كتب عنه بقصد أو بغير قصد خاص له وجدت انه يمكن وضع ما يشبه الضوابط له وللأمانة العلمية وجدت أن من علمائنا من تحدث عنها وان كان لا يقصد وضع تلك الضوابط لكنه لقوة فكره ودقة عقله ورهافة حسه توصل إلى كثير منها ومن هؤلاء صاحب تحرير التحبير ابن أبي الإصبع الذي تحدث عن الإشارة فقال وهو يتحدث عنها : " وهو أيضاً مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى ،- يقصد باب الإشارة - وشرحه بأن قال: هو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدل عليه، كما قال بعضهم في صفة البلاغة : هي لمحة دالة، وشرح هذا الحد أنها إشارة المتكلم إلى معاني كثيرة بلفظ يشبه ..لقلته واختصاره بإشارة اليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جداً، ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار، لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه بأسهل ما يكون، فإشارته معدودة من العبث" .

ثم شرح كلامه وطبقه على حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلال شرحه ترى عنده بوضوح ما يبين حسن فهمه وما يمكن أن نستقي منه ضوابط لأدب الإشارة مأخوذة من أبلغ أهل الأرض ، ومن توضع قواعد البلاغة على مثال بيانه ، بكل ما يشمل من عبارات وإشارات وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ويستطرد في سرد كلامه عن الإشارة قائلا :" ولهذا قال هند بن أبي هالة في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يشير بكفه كلها وإذا تعجب قلبها ، وإذا حدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى" .

فوصفه ببلاغة اليد كما وصفه ببلاغة اللسان، يعني أنه يشير بيده في الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حذق بمواضع المخاطبات.

وقوله :" كلها " أي يفهم بها المخاطب كل ما أراده بسهولة فإن الإشارة ببعض الكف تصعب ، وبكل الكف تسهل، فأعلمنا هذا الوصف أنه صلى الله عليه وسلم كان سهل الإشارة ، كما كان سهل العبارة .

وهذا ضرب من البلاغة الذي يمتدح بمثله، وهو أيضاً من بلاغة الواصف إذ أشار بقوله :

كلها إلى كل المقصود الذي تدل عليه الإشارة، ومن حذق الواصف إتيانه بلفظ الإشارة في الوصف، لما أراد أن يصف الإشارة البديعية وقسمها قسمين: قسماً للسان وقسماً لليد .

وقوله: "وإذا تعجب قلبها"، يعني أنه يشير بها على وجهها إذا كان المعنى الذي يشير إليه على وجهه ليس فيه ما يستغرب فيعجب منه، فإن الشيء المعجب إنما يكون معجباً لكونه غير معهود، فكأن الأمر فيه قد قلب لمخالفته المعهود، فلذلك يجعل صلى الله عليه وسلم قلب يده في وقت الإشارة إشارة إلى أن هذا الأمر قد جاء على خلاف المعهود، ولذلك تعجب منه. وقوله "وإذا حدث اتصل بها" يعني اتصل حديثه بها فيكون المعنى متصلاً، والمفهوم بالعبارة والإشارة متلاحماً، آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض .

وقوله: "فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى" يعني أنه عند انتهاء إشارته يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى مشيراً إلى أنه ختم الإشارة، لأن الإبهام بها يختم القبض، ولذلك عطف هذه الجملة بالفاء، ولم يأت بها معطوفة بالواو، كما أتى بما قبلها من الجمل لكونها آخر إشاراته، والواو لكونها غير مقتضية للترتيب، يجوز أن يكون المتأخر بها متقدماً ولا كذلك الفاء، إذ لا بد أن يكون المعطوف بها متأخراً لكونها موضوعة للتعقيب .

وأما اقتصاره على باطن الإبهام دون ظاهرها فمعناه أنه جعل آخر الإشارة متصلاً بأول الوصف وتمام النعت، ولو عدت هذه المعاني بألفاظها الموضوعة لها لاحتيج في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة [1] .

ويمكن إيجاز ما استقريناه – من خلال مطالعتنا لهذا الموضوع – من ضوابط فيما يأتي :

– حسن اختيار الإشارة في المقام الذي يقتضيها فكما أنه لكل مقام مقال كذلك لكل مقام إشارته التي تصلح له وفيه .

– أن تكون الإشارة سهلة الفهم ، واضحة الدلالة بالنسبة للمخاطبين ، هذا من الناحية الأدبية ويستثنى من ذلك ما إذا كان يخاطب من يحتاج إلى نقل أنواع الإشارات ومنها الإشارات الصعبة والمعقدة بالنسبة لكثير من الناس وهم طائفة الصم والبكم .

– أن تكون الإشارة صحيحة فمثلا من يتكلم عن رب العزة عن ووحدانيته ثم تراه يشير بإصبعين أو أكثر فهذه الإشارة غير صحيحة تتنافى مع ما يتحدث فيه ،كذلك من يتحدث عن نفسه و ينطق بلفظ الأنا مؤكدا لذاته وهويته فلابد أن يشير مثلا براحته علي صدره إن كان يريد الإشارة فإذا ما أشار إلي محاطبه في هذه الحالة فإشارته غير صحيحة .

– أن تتوافق الإشارة مع اللفظ إن جاء بها معاونة له و ليست مؤدية معنى بذاتها كأن يتحدث مثلا عن شيء من خصائص السماء أو ما يدور في الملأ الأعلى فيشير مثلا نحو الأرض أو نحو جهة أخري أو العكس كأن يتحدث عن الأرض أو عن التراب أو ما يتعلق بذلك فيشير إلي السماء ، و قد كان النبي – صلي الله عليه وسلم– أكمل من تري فيه البلاغة في القول و الإشارة ففي حجة الوداع يروي لنا

١– ينظر:تحرير التحبير ص ٢٠٠ وما بعدها.

سيدنا جابر بن عبد الله عنه – صلي الله عليه و سلم – أنه قال :" ... وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت فقال بإصبعه السبابة : يرفعها إلي السماء وينكتها إلي الناس : اللهم أشهد ثلاث [1] وانظر هنا إلي تأكيد الشهادة من رسول الله – صلي الله عليه و سلم – فهو يطلب من الله تعالي- فيشير إلي السماء – أن يسجل علي الصحابة رضوان الله عليهم فيشير إليهم .

– ألا تكون الإشارة لمجرد العبث .

– ألا تكون هذه الإشارات تخالف الأعراف السائدة والآداب العامة كالغمز بالعين، وكإخراج اللسان بغير حاجة سوي مقصد سوء .

– ألا تكون الإشارات محظورة أو نابية أو منفرة كالإشارة في عصرنا هذا بالإصبع الوسطي، و كالإشارة إلي موضع العفة .

– ألا تكون الإشارة غير مقصود بها المخاطبين .

– ألا يكون صاحب الإشارة يقصد مجرد التقليد للمتكلمين الذين يحسنون استعمال الإشارات كما نري كثيرا من المتكلمين في عصرنا هذه أو الخطباء يعجبون بخطيب أو متكلم من المشهورين فيقلده في إشاراته جميعا سواء التي يؤديها بيده أو وجهه أو جسمه أ و انفعالاته دون أن يستدعي الموقف ذلك إلا أنهم يقلدون ! .

– أن يراعي صاحب الإشارة ثقافة و عادات و تقاليد المجتمع الذي يخاطبه ويستعمل عنده تلك الإشارات فمثلا عند الدهشة و الاستكار نلاحظ أن المرأة تدق علي صدرها فهذه من عادات المجتمع و تقاليده و هو أيضا يستقبح من الرجل فعل ذلك .

---

١ – سيرة ابن هشام ٩٦٨، ٩٧٠.

– ألا تكون الإشارة فيها ما يناقض الدين بعرف المكان الذي تحدث فيه الإشارة وذلك كالاهتزاز وتحريك الرؤوس عند قراءة القرآن فهو مستقبح في بلاد المغرب ذكر أبو حيان الأندلسي في تفسيره لقول الله – تبارك وتعالي – :

" وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة [1] قال : ذكر المفسرون أنه لما نشر موسي – عليه السلام الألواح و فيها كتاب الله ، لم يبق شجر و لا جبل و حجر إلا اهتز فلذلك لا تري يهوديا يقرأ التوراة إلا واهتز وانفض لها رأسه .. ويعلق علي ذلك بقوله: " وقد سرت هذه الرعة إلي أولاد المسلمين فيما رأيت بديار مصر ، تراهم في المكتب إذا قرأوا القرآن يهتزون ويحركون رؤوسهم ، وأما في بلادنا بالأندلس والمغرب ، فلو تحرك الصغير عند قراءة القرآن أدبه مؤدب المكتب و قال له لا تتحرك فتشبه اليهود في الدراسة [2] .

– أن تكون هذه الإشارات مستحسنة غير قبيحة و لا مستهجنة و قد ذكر أبو الطيب الوشاء في وصفه للظرفاء أنهم "لا يتثاءبون و لا يتمطون ولا يوقعون أكفهم ولا يشبكون أصابعهم ولا يمدون أرجلهم بين يدي جليسه أو حبه أو من يحتشمه أو يكرمه ... وليس من زيهم الإقعاء في الجلسة ولا السرعة في المشية ولا الالتفات في الطريق [3] ...

– أن تكون هذه الإشارات عامة ومعروفة فلو جاء إنسان بإشارة جديدة غير معروفة وجاء به في موقف من نفسه فلا يعد من الإشارات التي يعتد بها .

---

١ – سورة الأعراف آية ١٧١.
٢ – البحر المحيط ٤/٤٥٢.
٣ – الظرف و الظرفاء ١٢٠.

ونحب أن نقرر أن العرف الاجتماعي يتدخل كثيرا في قيمة الإشارة و الانفعال و حسنه و قبحه فمثلا في التعبير عن الحزن ، يقبح العرف الاجتماعي البكاء من الرجال و لا يضر ذلك مع النساء لأنه من خصائصهن .

واختم بأمثال ذكرتها العرب عن الإشارة منها [1] :

- إذا لم تسمع فألمع .
- إن عجزت عن الإسماع لم تعجز عن الإشارة .
- الحر يكفيه الإشارة .

١- مجمع الأمثال :الميداني .

المصادر والمراجع

القران الكريم

- أنوار التفسير و أسرار التأويل (المعروف بتفسير البيضاوي) لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ط. دار الجيل .
- أسباب النزول. لجلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي. تح: قرني أبو عميرة . الناشر كتبة نصير .
- أوضح التفاسير . لابن الخطيب.
- أساس البلاغة . لجار الله محمود بن الزمخشري . ط.دار صادر بيروت ١٣٩٩هـ
- إحياء علوم الدين . لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي . ط. دار مصر للطباعة ١٩٩٨ م .
- الإشارات الجسمية (دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل) د .كريم زكى حسام الدين . ط مكتبة الأنجلو المصرية (الأولى) ١٩٩١م -
- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر . د. عبد القادر القط . ط : دار النهضة العربية . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٧ م.
- أصول النقد الأدبي : أحمد الشايب : مكتبة النهضة المصرية (الثانية ١٩٧٣م).
- البلاغة النبوية في أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) عن المقدسات الإسلامية من خلال كتب الصحاح الستة .
- البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية د.عبد الله محمد سليمان هنداوي ط. مطبعة الأمانة (الأولى ١٩٩٥).
- البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي . د. على على صبح .ط . مطبعة الأمانة (الأولى سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م) .
- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . ط. دار الكتب العلمية بيروت .

- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط . الخانجي .١٩٦٠م.
- البصائر و الذخائر
- البحر المحيط في التفسير. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي .عناية الشيخ :عرفات العشا حسونة . ط . دار الفكر بيروت ١٤١٢ هـ ١٩٩١م .
- تفسير القرآن العظيم .لجلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ط. الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٩٧٧ م.
- التفسير النفسي للأدب . د. عز الدين إسماعيل ط دار المعارف سنة ١٩٦٣م.
- التصوير الفني في الحديث النبوي
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن .لابن أبي الأصبع لمصري . تحقيق : د .حفني محمد شرف .لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٣ هـ القاهرة .
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . ط . دار الريان للتراث .
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير
- الحيوان . لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق : فوزي عطوي ط. دار صعب بيروت .١٩٨٢م.
- الخصائص لأبي الفتح بن جنى . تح محمد على النجار . ط . بيروت (الأولى).
- ديوان زهير بن أبي سلمى . ط . دار صادر.
- الرسائل .لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .تحقيق : عبد السلام محمد هارون . ط . دار الجيل بيروت(الأولى ١٤١١هـ١٩٩١م)

- زهر الآداب و ثمر الألباب. لأبي إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيرواني . تح : على محمد البجاوى .ط. دار الفكر العربي (الثانية) .
- سنن أبي داود . لأبي داود سليمان بن الأشعث . ط.دار الجيل بيروت .
- سر الفصاحة. لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي .تح:علي فودة .نشر:مكتبة الخانجي بالقاهرة(الثانية١٩٩٤م)
- سبل الاستنباط من الكتاب و السنة د.محمود توفيق .مطبعة الأمانة ١٩٩١م .
- سيكولوجية الفنات الخاصة.مجموعة متخصصة .
- شرح ديوان أبو تمام التبريزي .
- صحيح مسلم .لأبي الحسين مسلم بن الحجاج .ط . دار ابن حزم بيروت .
- صحيح البخاري . لأبي عبد الله البخاري. ط. المكتبة العصرية بيروت .
- الصناعتين الكتابة والشعر .لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري .تح: مفيد قميحة.ط.دار الكتب العلمية بيروت(الثانية١٩٨٤م)
- الصورة الأدبية . د: مصطفى ناصف : ط دار الأندلس : بيروت . الطبعة : الثالثة ١٩٨٣.
- الصورة الأدبية : د. مصطفى ناصف .ط.مكتبة نهضة مصر ١٩٥٨م.
- طوق الحمامة في الألفة والآلاف لأبي محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى . ط . دار بن خلدون .
- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده . لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني تح : محمد محي الدين عبد الحميد. ط. دار الجيل بيروت .(الخامسة ١٩٨١م).
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق:مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي ط ١ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٨هـ
- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم ابادي .ط.دار الكتب العلمية بيروت.

- علم اللغة أسسه ومناهجه.د.عبد الله ربيع محمود .طبعة أولى ١٩٩٤م.
- عمدة القارئ
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية في علم التفسير لمحمد ابن على الشوكاني .
- في الميزان الجديد . د . محمد مندور . ط : دار نهضة مصر . ١٩٧٧م.
- في النقد الأدبي . د . شوقي ضيف . ط: دار المعارف (الرابعة) .
- في الأدب و النقد الأدبي . د: سعيد الورقى : ط. دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٩م .
- في نقد الشعر :د.محمود الربيعي. نشر مكتبة الزهراء . القاهرة ١٩٨٥.
- فتح الباري . لابن حجر العسقلانى
- لسان العرب . لابن منظور ط دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . الأولى ١٩٩٩م .
- اللمع في أصول الفقه .
- المعجم المفصل في الأدب . د: محمد التونجي . ط : دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة : الأولى . سنة ١٩٩٣ .
- مناهج البحث الأدبي . د. سعد ظلام .ط. مكتبة نهضة الشرق ١٩٩٦م .
- الموازنة بين الشعراء : د. زكى مبارك .ط. دار الكتاب العربي للطباعة و النشر القاهرة ١٩٣٦.
- مختصر تفسير الطبري .لأبي يحي محمد بن صمادح التجيبى الأندلسى (على هامش مصحف عثمان) ط. مكتبة مصر ، السحار الفجالة.
- الموازنة بين الطائيين.لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي. تح:محمد محي الدين عبد الحميد.ط.دار المسيرة بيروت.

- معالم التنزيل في التفسير و التأويل . لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي . ط. دار الفكر ١٩٨٥ م . .
- المعجم العربي بحوث في المادة و المنهج و التطبيق د. رياض زكى قاسم . ط . دار المعرفة بيروت .
- مشكاة المصابيح
- المزهر .
- نضرة الإغريض في نصرة القريض .للمظفر بن الفضل العلوي.
تحقيق:د.فهي عارف الحسن .ط.دار صادر بيروت.١٤١٦هـ١٩٩٥م.
- النقد الأدبي الحديث . د. محمد غنيمى هلال. ط : دار الثقافة بيروت ١٩٧٣.
- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر تح:كمال مصطفى . نشر : مكتبة الخانجي القاهرة (الثالثة)
- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير. تح:طه الزاوي و د.محمود الطناحي .ط.المكتبة العلمية بيروت.
- نظرات في البيان.د/محمد عبد الرحمن الكردي . ط.مطبعة السعادة.
- نقد النثر. لابن وهب الكاتب.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي .

دوريات:

- التوظيف اللغوي في الكتابة العلمية والأدبية . مقال للدكتور : رزق محمد سيد أحمد داود . مجلة كلية اللغة العربية . إيناي البارود . العدد الثالث عشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .
- لقاء سماعي من شرح الدكتور / عيد محمد شبايك في برنامج / بلاغة الرسول الذي يقدمه د / عبد الله الخولي . بإذاعة القرآن الكريم .